روايات كبيرة

٤٠٣

جانيت بارزويل

# ربة صدفة خير من ميعاد

www.elromancia.com

مرموريـة

# روايات كبير

NO:403

تعمل بنا الحسناء ذات الشعر الذهبي قائدة لطائرة هيلوكوبتر تابعة لشركة يملكها ابوها ... تكلف يوما بنقل احد العلماء إلى منطقة في شرق تركيا معرضة للهزات الأرضية .. وتجد نفسها بمفردها معه في قاعدة منعزلة وسط الصحراء والجبال ... ولكن سرعان ما يكتشفان انهما ليسا وحيدين كما يتوهمان فلقد ولد الحب في قلبيهما ... واصبح ثالثهما في هذه البقعة المنعزلة من العالم المعرضة للزلازل ... الحب الذي هو اقوى من كل شيء ... حتى من الزلازل المدمرة .

www.rewity.com

ثمن النسخة

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان | ٢٠٠٠ ل | الكويت | ٧٥٠ف |
| سوريا | ٧٥ ل | الامارات | ١٠ د |
| الأردن | ١ د | البحرين | ١ د |
| العراق | ٥٠ | قطر | ١٠ ر |
| السعودي | ٦ ر | مسقط | ١ د |

| | | | |
|---|---|---|---|
| CanadA | .S | | |
| U.K | 1.5 | | |
| France | 15F.F | ليبيا | ١ د |
| Greece | 1200Drs. | تونس | ١.٥ د |
| CYPRUS | 1.5 P. | اليمن | ٧٥ ر |

قرش جنيه

# الشخصيات المحورية للرواية

"چينا" ابنة السماء:

فتاة في ربيع العمر سئمت حياة الرفاهية التي لا هدف لها غير اللهو. وقررت أن تصبح طيارة في شركة والدها ... تعرفت في إحدى مهماتها بعالم شاب متخصص في دراسة الزلازل. وشاء القدر أن يعيشا بمفردهما في قاعدة منعزلة بين جبال وصحراء شرق تركيا ... كانت تجربتها الماضية قد اقنعتها بأن الرجال لايريدون من المرأة غير المتعة... غير المغامرة التي لاغد لها . ولذلك وضعت نصب عينيها أن تكون علاقتها بالعالم الشاب هي علاقة عمل فقط رغم شعورها تجاهه بجاذبية قوية .. وتقاوم الفتاة نداء قلبها ولكنها تضطر أخيرا إلى الرضوخ له .

"ديفيد هالمان" :

عالم شاب تركي الجنسية تزوج من امراة تنظر إلى الزواج كوسيلة لإنجاب الأطفال وتعيش لامومتها فقط . ولذلك عاش في حرمان عاطفي حتى توفيت زوجته في اثناء إجرائها لعملية جراحية ... وساق القدر في طريقه "چينا" ابنة السماء التي وكل إليها مهمة نقله إلى منطقة نائية في شرق تركيا معرضة للزلازل بغرض الدراسة وتحذير القبائل الرحالة التي تعيش في المنطقة من خطر اي هزة ارضية قادمة ... وهناك تعرض للزلزال الأكبر ... زلزال الحب .



# الفصل الأول

راحت "چينا" تناور للهبوط على ارض المطار رويدا رويدا ..

كانت الشمس تكاد تميل للغروب وكان البخار المنتشر في الجو ينبئ بارتفاع درجة الحرارة وكانت السحب القاتمة تنتشر بعيدا وتكاد تخفي قمم الجبال التي لاتزال مغطاة بالثلوج .

وما كادت تهبط على الأرض حتى فتحت باب الطائرة الـ"هيلوكوبتر" واحست بالنسمات الدافئة تداعب وجهها ... لقد وصلت اخيرا ... كانت المدينة - نقطة بداية مهمتها - تجثم امامها.

واحست برعشة خفيفة تجتاحها .. إن ذلك يرجع من غير شك إلى ما تحس به من إرهاق وجوع ... لقد كانت الرحلة طويلة مضنية ولكن يجب عليها الا تستسلم او تيئس فامامها عمل يجب عليها أن تنجزه وسوف تفعل ذلك بكل تاكيد .. فلاشيء آخر يهم بالنسبة لها ويجب عليها الا تستسلم للانطباعات الغامضة .

وعندما توقفت مروحة الطائرة العمودية عن الدوران راحت تراجع ما دونته من ملاحظات في سجل الطائرة : لقد قطعت الفا وخمسمائة كيلو متر خلال يومين ولم تصادفها اية عقبات، الأمر الذي يعد إنجازا



www.elromancia.com

حقيقيا والذي تدين له في المقام الاول لـ"جامي" الميكانيكي المسؤول عن صيانة طائرتها .

وقال هذا الاخير الذي هرول ليساعدها على النزول وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة :

- برافو يا "جينا" .. لقد وصلت كعادتك في الوقت المحدد تماما.

- اوه ! "جامي" انا لم اسمع وقع خطواتك وانت تقترب .. إن الفضل يرجع إليك، انا سعيدة جدا برؤيتك .

- انت لست فقط افضل طيارة عرفتها، بل اكثرهن جمالا ايضا.

وابتسمت "جينا" وراحت تنظر من جديد إلى سجل الطائرة واخذت تفكر وهي تدون ملاحظاتها الاخيرة : لابد لها ان تعترف ان وجود "جامي" في هذا المطار المقفر المنعزل يدخل الراحة والطمانينة على نفسها .

وتنهد "جامي" قائلا :

- هيا يا "جينا" .. لاداعي لان ترفضي إطرائي لك فانت تستحقينه بجدارة. الم تصادفك اية عقبات او متاعب بالنسبة للطائرة ؟

- لا على الإطلاق .. لقد حجزوني اكثر من ساعة في مطار "استنبول" للتحقق من حصولي على إذن الطيران فوق الاراضي التركية حتى "انقرة" .

- يجب ان تعذريهم يا "جينا" لان رجال الجمارك الاتراك لم يعتادوا رؤية الطيارين من الجنس اللطيف .

وهزت "جينا" كتفيها :

- لقد كدت امضي ليلتي بسببهم بين الجبال ولكني وصلت والحمد لله .. ولكن ماذا تفعل انت هنا ؟ لقد كنت اعتقد انك ستذهب مباشرة إلى قاعدة "فان" وانني سوف اجدك هناك بعد توصيلك "للبروفيسير" "هالمان" .

- هذا ما كنت سافعله بالضبط يا صغيرتي ولكن المسؤولين الاتراك ابطئوا في فحص صناديق قطع الغيار التي احملها والتي لا يوجد مثلها في هذه البقاع. وكان عليّ ان احضر إلى هنا لاستلامها في اقرب وقت ممكن ... وعلى كل حال فقد تمت جميع الإجراءات الآن وقد



حجزت لي مكانا في اول طائرة متجهة إلى "فان" في صبيحة الغد .

- كنت اود ان تصحبني إلى هناك ولكن قد يكون هذا افضل بسبب ثقل المهمات والاجهزة التي سيحملها معه البروفيسير "هالمان" .

وقال "جامي" :

- لاتقلقي من اجلي ... سوف اعزي نفسي بجمال المضيفات التركيات .

ونزلت "جينا" من الطائرة وحملت حقائبها ، وكانت الرياح الباردة تهب على ارض المطار واحست بقشعريرة تنتابها رغم الـ"بلوفر" الصوف الثقيل الذي كانت ترتديه .

وعثر الصديقان على سيارة اجرة عند مدخل المطار قادتهما إلى فندق غير بعيد. وكان "جامي" كعادته دائما قد حجز غرفة للمراة الشابة.

وسالت "جينا" موظف الاستقبال :

- هل توجد رسالة لي ؟

وكان ذلك رد فعل طبيعياً لكونها قائدة طائرة فقد كانت الشركة تحتم عليها ان تترك دائما رقم تليفونها لعملائها للاتصال بها في حالة تغيير برنامج الرحلة ولكنها في هذه الليلة لم تكن تنتظر مكالمة خاصة بعملها ، لقد كانت تامل ان يتصل بها والدها .

كانت "جينا" قد نقلت عشرات رجال الاعمال البارزين في رحلات إلى مختلف انحاء اوروبا خلال اكثر من عام وكان والدها يتصل بها دائما بعد كل رحلة ليطمئن عليها وعلى عملائها فقد كان هو صاحب شركة الطائرات "الهيلوكوبتر" .

ولكنها لم تجد ابدا رسالة منه ، ولكن الامر قد يختلف اليوم فالمهمة التي كلفها بها مهمة دقيقة لها اهمية خاصة ... فليس هناك اي وجه شبه بين رحلة جوية بين "چينيف" و"باريس" او بين "نابولي" واثينا" ، وبين رحله تستغرق عدة اسابيع فوق جبال المنطقة الشرقية من تركيا...

لقد كانت تعلم ان كفاء تها كقائدة طائرة ليس لها دخل في تحديد طبيعة رحلاتها فشركة "برادي" تعطي الأولوية الأولى للطيارين من

الرجال وكانت هي تاتي دائما في المرتبة الثانية ، ولكن لما كان "كين روي" و"جو" - وهما الطياران الرئيسيان في الشركة مشغولين في مهام اخرى اضطر والدها ان يعهد لها بهذه الرحلة.

كانت على وشك ان تبتعد عن مكتب الاستقبال معتقدة ان رد الموظف المسؤول سيكون بالنفي كما هي العادة دائما ، عندما اشار لها الموظف بالاقتراب :

- لحظة واحدة من فضلك ... فهناك رسالة لك .

واستدارت "چينا" على عقبيها بحركة سريعة وقلبها مليء بالبهجة والخوف في نفس الوقت .

وتمتمت بصوت مبحوح :

- نعم .

- يقدم لك "البروفيسير" "هالمان" اعتذاره لانه سوف يتاخر بعض الوقت وسوف يتصل بك تليفونيا بمجرد حضوره .

وقالت المراة الشابة بهدوء :

- شكرا .

إن والدها لم يتصل بها إذن كعادته وهو لن يفعل ذلك ابدا !

وحاولت ان تخفي خيبة املها فاستدارت صوب "جامي" وقد رسمت على شفتيها ابتسامة مغتصبة :

- اكاد اموت من الجوع ... سانهب لاخذ حماماً واغير ملابسي والحق بك هنا لتناول طعام العشاء ... هل يوجد مطعم في هذا الفندق؟

- نعم ، ولقد القيت نظرة على قائمة الطعام ... إنهم يقدمون اطباقا غير معروفة ...

- هذا من حسن حظنا فسوف يتيح لنا ذلك اكتشاف المطعم التركي... إلى اللقاء إذن بعد قليل ...

بعد نصف ساعة ظهرت "چينا" في قاعة الطعام وقد بدلت ملابسها واعادت تصفيف شعرها والعناية "بمكياجها" : كانت ترتدي بنطلونا ضيقا من الكتان الابيض و"بلوفر" من "الانجورا" الذهبي اللون والذي يقارب لون شعرها الاشقر الطويل الذي يتهدل علي كتفيها وظهرها في



تموجات هادئة متعاقبة .

والقى عليها "جامي" نظرة نهمة فاحصة جعلت حمرة الخجل تصبغ وجنتيها واسرعت تتمتم :

- حسن ... فلنتناول الطعام في الحال كما اني اريد ان اعرف من هو هذا العالم المجنون الذي عليّ ان احمله إلى منطقة نائية وسط جبال تركيا .

قالت ذلك وقد اخذت مكانها امام إحدى الموائد الخالية بقاعة طعام الفندق .

- الم يخبرك والدك بشيء عنه ؟

- إن والدي لايعرف عنه شيئا باستثناء انه عالم له شهرة واسعة يعني بدراسة الهزات الارضية ... انت تعرف والدي ... إن الربح يجيء بالنسبة له في المقام الاول .

- اوه ! اوه ! من ادراك انه ليس مهربا او إرهابيا يتخفى في عباءة عالم وقور ؟

- اوه ! يا "جامي" انت لا تبارى في بث الشجاعة في قلب فتاة ضعيفة .

قالت ذلك بمرارة ثم استطردت قائلة :

- لقد اتيح لي الوقت اثناء الرحلة لكي اكون فكرة بسيطة عن البروفيسير "هالمان" ...

- كلي آذان مصغية يا "چينا" .

- إن اسمه يدل على انه إنجليزي وهكذا فلن تكون هناك مشكلة في الحديث معه ولما كان عالما مشهورا فلابد انه تخطى الخمسين من عمره... وماذا ايضا ؟ اه نعم .

لابد ان له شعراً ابيض طويلاً لانه ينسى دائما ان يذهب إلى الحلاق.

- وماذا عن الملابس التي يرتديها ؟

- "جاكيت" من التويد وبنطلون رمادي باهت اللون وقميص لايمكن تحديد لونه و"بلوفر" ضيق ابلاه القدم ... وهو من غير شك يرتدي نظارة طبية ويحمل معه حافظة اوراق ... ترى هل نسيت شيئا ؟



www.elromancia.com

- طول قامته :

- نفس طول قامة البروفيسير "تورنسول" .

وتمتم "جامي" وهو يبتسم :

- إنه وصف بالغ الدقة حقا ... خذي قائمة الطعام واختاري ماشئت واود ان الفت نظرك إلى ان مكونات الأطباق متشابهة .

وتبادلا الحديث بضع دقائق لمعرفة الأطباق التي سيقع عليها اختيارهما وانتهى "جامي" بطلب كفتة بالسبانخ بينما فضلت "چينا" تناول الـ"شيش - كباب" مع سلطة الزبادي بالخيار والنعناع .

وقالت المراة الشابة عندما اختفى النادل :

- كيف حال "هيلين"؟ كنت اود ان ازورها قبل رحيلي ولكن إصابتي بـ"الإنفلونزا" منعتني من ذلك .

- ياليت الناس كلهم مثلك يا"چينا" ... لقد زارتنا شقيقة "چينا" منذ شهر تقريبا وكانت تعاني بدورها "الإنفلونزا" وبالطبع اصيبت بها "هيلين" .

- اوه ! لا ...

- وقد تدهورت حالتها حتى اننا خشينا ان تصاب بالتهاب رئوي .

- ولكن ... هل تحسنت الآن ؟

- هل كان من الممكن ان اكون هنا وهي مريضة وملازمة الفراش ؟

- كم انا سعيدة لانها استردت صحتها يا"جامي" كما انني سعيدة ايضا لوجودك هنا . يجب ان اعترف لك ان وجود صديق معي هنا في هذه البلاد الغريبة يملأ قلبي بالراحة والاطمئنان .

كانت "چينا" هي الشخص الوحيد من بين موظفي شركة "برادي" التي يحدثها "جامي" عن مشكلات زوجته الصحية فقد كان حديثه يقتصر مع الآخرين على تبادل التحيات و المعلومات الخاصة بالعمل .

كان "جامي" و"هيلين" متزوجين منذ اكثر من خمس عشرة سنة وكانت "چينا" ترى فيهما زوجين سعيدين رغم عدم إنجابهما للأطفال ، ولكن حدث منذ بضعة اشهر ان تعرضت "هيلين" لحادث سيارة ، فقدت على اثرها القدرة على السير .

وعندما ذهبت "چينا" لزيارتها في المستشفى وجدت عند خروجها



"جامي" آخر لاتعرفه ملأ قلبه اليأس والزهد في الحياة، ودعته لقضاء السهرة في منزلها حيث حدثها بإسهاب عن جميع آلامه ... وخاصة آلام "هيلين" : لقد قضى هذا الحادث الرهيب على جميع مشاريعهما ولم يستطع "جامي" ان يمنع دموعه من الانهمار وقد استسلم للنوم على الأريكة حوالي الساعة الثالثة صباحا بعد ان هده الإرهاق وغطته هي بمفرش سرير ثقيل وذهبت لتنام في غرفتها وقد عصف بها الألم ...

إن المرض يهدد إذن سعادة هذين الزوجين فهل الحب يعد نبعا للآلام وخيبة الأمل ؟ لقد مرت هي نفسها بهذه التجربة الرهيبة : لقد كانت في طفولتها ، تمضي الساعات الطوال في صنع هدية لعيد ميلاد والدها ولم يكن هو يعلق اية اهمية لذلك وكان والداها يتمزقان امام عينيها وتمر الأيام الطويلة بدون ان يتبادلا كلمة واحدة .

لماذا يقف القدر بالمرصاد ضد المحبين ؟

وشعرت في تلك الليلة وهي ممدة في سريرها انها راضية تماما عن قراراتها ... فهي لاتريد ان تتعرض للإحباط وخيبة الأمل . لقد اصبحت حياتها واهتماماتها تنحصر في التحليق في السماء وهي ليست في حاجة إلى اي شيء آخر ...

وعاد النادل ووضع امامهما الأطباق التي وقع عليها اختيارهما، والتفت صوب "چينا" وراح يشرح لها وهو يبتسم كيفيه تناول الـ"شيش كباب" فعليها اولا ان تفتح رغيف الخبز وتضع بداخله قطع اللحم المشوي وتضيف إليه قليلا من الصلصة الحريفة وملعقة او ملعقتين من الخضراوات وبعض حلقات البانجان والخيار ثم ، مرة اخرى كمية من الصلصة الحريفة ... ولا يبقى امامها ، بعد ذلك ، غير التهام الرغيف .

وقال النادل بعد ان فرغ من شرحه :

- انت جميلة جدا يا آنستي ... إنني أجد دائما سعادة بالغة في مساعدة النساء الفاتنات. وقالت "چينا" ببرود دون ان تبادله ابتسامته العريضة :

- شكرا .

وراحت تحدق في الطبق امامها وهي تفكر : لماذا يلجا الرجال لهذا

النوع من الإطراء للنساء اللاتي لايعرفونهن... إنها تبغض هذا التصرف .

وقال "جامي" :

- إن للجرسون كل الحق فيما قاله يا"چينا" فانت فاتنة جذابة بملابسك هذه.ونظرت إليه مؤنبة :

- "جامي" ... إنني ...

- اعرف ما سوف تقولينه ... انت لاتحبين الإطراء ... ولكنها مجاملات صادقة ياعزيزتي .

هذا بالإضافة إلى انني اعرفك جيدا ولكن الشخص الغريب لايرى فيك غير امراة جميلة ... وهشة ...

وقالت في ضيق :

- إنك تملك موهبة الإطراء والمجاملة ياصديقي .

- انا لا اقول إلا ما اعتقد يا"چينا" ... هل تفضلين ان الجا إلى الكذب؟

- لا ... ولكني افضل ان تقول لي إنني اتميز بفضائل اخرى .

- "چينا" ... أصغي إليّ ... اريد ان اقول لك شيئا جادا . إنني اشعر بنوع من القلق نحوك ... فانا اراك شاحبة بعض الشيء ومتوترة الاعصاب لدرجة كبيرة .. هل انت فعلا على ما يرام كما تدعين ؟

وقالت المراة الشابة وهي تنفجر ضاحكة :

- بكل تاكيد ... فعملي ...

- انت مولعة به تماما ... اعرف ذلك ... ولكن العمل ليس كل شيء في الحياة. إن كل إنسان في حاجة إلى غيره من البشر ... إلى الصداقة والحب ...

وأجابته في تحد :

- ليس انا .

- إنك كالأخرين يا"چينا" .

- لاداعي للخوض في هذا الحديث يا"جامي"... لقد سبق وكررته في اكثر من مناسبة .

وانا لا اود ان اجادلك ... فانا سعيدة جدا هكذا بمفردي... وليس



لانك .. اوه ! "جامي" ارجو المعذرة .. ما كان يجب ان اقول....

- لا اهمية لذلك ... انت على حق تماما في انني احب "هيلين" ومصمم على عدم هجرها ولكن يحدث لي احيانا ... ولكن فلنتحدث عنك انت ... سوف تستيقظين في احد الايام وتكتشفين الحقيقة : إنك لم تخلقي لتعيشي بين احضان الوحدة ... فهناك امراة تقبع وراء مظهرك الجامد ... وانا احسد الشخص الذي ستتفتح على يديه انوثتك التي تحاولين إخفاءها داخل قوقعة محكمة ...

وحدقت فيه "چينا" طويلا وصمت هو عن الكلام وساد بينهما صمت ثقيل وقالت المراة الشابة اخيرا :

- من الأفضل ان نتناول طعامنا قبل ان يبرد .

وخفضت بصرها وهي تحس بالدموع تتبلور وراء اهدابها : إن "جامي" يعتقد إنن انها قادرة على الحب .

- السيد "برادي" ؟ "جين برادي" دوى صوت رجل عميق حاد في اجواء غرفة الطعام و اسرعت "چينا" بمسح الدموع التي بدات تسيل على وجنتيها واتخذت مظهرها الجاد الجامد .

قال "جامي" يجيب القادم الجديد :

- اوه ! لا ... إن ...

وقال هذا الأخير :

- ارجو المعذرة ، لقد قيل لي في مكتب الاستقبال إن السيد "برادي" يتناول طعام عشائه على المنضده رقم ١٤ .

- اعتقد انه قد قيل لك نصف الحقيقة .

- انا لا افهم .

وقال "جامي" وهو يشير إلى "چينا" :

- سوف تفهم كل شيء في الحال .

استدار القادم الجديد صوب المراة الشابة وتلاقت نظراتهما وظلا يحملقان في بعضهما البعض فترة طويلة .

كان طويل القامة يرتدي حلة زرقاء وكان شعره الحالك السواد كثيفا وقصيرا . وكانت معالم وجهه متناسقة وعيناه السوداوان تشعان ببريق غامض .. كان كل شيء فيه يوحي بالرجولة القوية ... المستبدة.



www.elromancia.com

واستطرد "جامي" قائلا :

- هذه هي الآنسة "برادي" ... الآنسة "چينا برادي" .

وقال الرجل ببساطة :

- آه ! حسن جدا ... انا سعيد بلقائك .

ثم وجه حديثه لـ"جامي" في شيء من الغلظة :

- ومن تكون انت ؟

- اسمي "درو" ... "جامي درو" . انا مهندس ميكانيكا اعمل بشركة "برادي". واضافت "چينا" :

- وصديق عزيز لي ... هل لنا ان نعرف الآن من انت ياسيدي ؟

وقال وهو ينحني بعض الشيء :

- ارجو المعذرة ... لقد فاجأتني الدهشة ... لم اكن انتظر ... على كل حال ليس لذلك اية اهمية... انا ادعى "ديفيد هالمان" .

كانت نظراته تتفحصها من قمة راسها إلى اخمص قدميها .

- انت ؟ ولكن ...

- ولكن ... ماذا ؟

ولم تستطع ان تنطق بكلمة واحدة وراحت تهز راسها .

وقال وهو يقبض على يدها بقوة محييا :

- يجب ان اعترف انني لم اتوقع ان تكون قائدة الطائرة ... امراة.

وتنهدت "چينا": هاهي ذي مرة اخرى تتعرض للافكار المسبقة.

- اؤكد لك ياسيد "هالمان" انني املك الكفاءة التامة في عملي .

- انا لا اشك في ذلك وإلا لما كنت هنا .. كنت افكر فقط بسبب كمية الاجهزة والمعدات التي احملها والتي ستستخدم في مواقع مختلفة من الجبال ، إن المهمة تليق بالرجال اكثر من النساء .

- ولكن العقد يشير إلى انني مكلفة بنقلك فقط وليس نقل المعدات والاجهزة ، ولكن مهما كان من امر فيمكنك ان تعتمد عليّ إذا كنت في حاجة إلى مساعدة .

- هذا لطيف جدا من جانبك يا انسة "برادي" ، اعدك انني ساتذكر هذا الوعد عند اللزوم .

وابتعد "ديفيد هالمان" قليلا ليحمل كرسيا من المنضدة المجاورة.



ولاحظت "چينا" ان "جامي" ينظر إليها نظرات ذات مغزى وسرعان ما صبغت وجنتاها بحمرة الخجل وقال العالم وهو يبتسم :

- الآن وقد تم التعارف هل تسمحان لي بالانضمام إلى مائدتكما . لقد وصلت لتوي وانا اكاد اموت جوعا كما انه يمكننا ان نعمق معرفتنا ببعض .

وفكرت "چينا" التي كانت قد انتهت من تناول طعام عشائها ان تنسحب في اول فرصة مواتية: إنها تفضل ان تحرم نفسها من تناول الحلوى الشرقية عن .. مواجهة هذا الرجل .. كان شيء ما يدعوها إلى مغادرة المائدة في الحال ... ولكن كانت هناك قوة اخرى تجبرها على البقاء ، وادركت بسرعة ان السبب الحقيقي الذي يجعلها جامدة في مكانها هو القوة التي تنبعث من هذا الرجل الغريب .. الرجولة المستبدة .

والجاذبية الطاغية ... قوة لاتقوى على مقاومتها ولكنها في نفس الوقت تخيفها وترهبها ...

وقالت بادب جم :

- تفضل بالجلوس ياسيدي ..

يجب ان تواجهه حتى إذا كان ذلك بالغ الصعوبة : فالبروفيسير "هالمان" ماهو إلا رجل من هؤلاء الذين يثقون بانفسهم والذين يقابلهم المرء بالآلاف ... إنه لايخيفها وستعرف كيف تسيطر على الاحاسيس التي استبدت بها عندما وقع بصرها عليه وقال "جامي" :

- حسن ... اعتقد انكما لستما في حاجة إليّ .

وصاحت "چينا" :

- لا ... لا .. على العكس ... إن نجاح العملية يعتمد كما تعلم على كفاءة الطائرة واعتقد ان "البروفيسير" "هالمان" يوافقني هذا الراي .. يجب ان نعرف على وجه الدقة ما نحن في حاجة إليه قبل القيام برحلة بين اعماق الجبال .

وقال "ديفيد هالمان" موافقا :

- اوافقك الراي تماما يا انستي .

ودهشت "چينا" وهي تحدجه بنظراتها : كان الشعاع الغامض يرقص



www.elromancia.com

في نظراته ...

ومرة اخرى شعرت بالاضطراب يجتاحها ... إنها لا تفهم ما الم بها... كل ماتعرفه انها تشعر بالقلق لانها سوف تمضي الاسابيع القادمة بمفردها مع هذا الرجل لماذا ، بحق السماء ، يختلف تماما عما تخيلته ... عن الصورة التقليدية للعالم العجوز المنهك... لماذا يتفجر شبابا وجاذبية ... ورجولة ... ؟



# الفصل الثاني

راحت "جينا" تنظر إلى الطائرة التي اقلت "جامي" وهي تبتعد ونسمات الصباح الباكر تعبث بشعرها الطويل فيتطاير في كل اتجاه ، وكانت كلمات وداع صديقها مازالت تطن في اذنيها ، فبعد ان حدد لها موعدا قريبا في "قان" اضاف وهو يبتسم :

- إني لاتساءل إذا كنت ساتعرف عليك ...

- ليس في نيتي ان اذهب إلى هناك وانا ارتدي ثوبا قصيرا ضيقا او اصبغ شعري بلون احمر قان .

قالت ذلك وقد استبد بها العجب .

- ليس هذا ما قصدت إليه ... على العموم كنت اعلم ان ذلك سيحدث في احد الأيام وانا سعيد جدا من اجلك على الرغم من انني سوف افتقدك .

- "جامي" ... ماذا تريد ان تقول ؟ انا لا افهم ...

- هيا .. لاتقلقي ... سوف تفهمين سريعا .

واستطرد وهو يضع يده فوق كتفها :

- لقد اصبحت جاهزة الآن لكي تستقلي بنفسك .



www.elromancia.com

- "جامي" ...

ولكنه كان قد ذهب تاركا المراة الشابة تحدق فيه وهو يبتعد بخطوات سريعة وشعرت بقلبها ينقبض وهي تراه يختفي داخل الطائرة : لقد اصبحت الآن بمفردها مع "ديلبد هالمان" ...

لقد تصرف بالامس كجنتلمان كامل واستطاع ان ياسرها بحديثه وكذلك "جامي" لقد تحدث بإسهاب عن ماضي تركيا المليء بالاضطرابات... ولكن هل كانت "چينا" تستمع لحديثه فعلا ؟ كانت تشعر بتشوش افكارها وبذلت مجهودا خارقا حتى لايبدو ذلك واضحا للعيان ، ومع ذلك فقد احست اكثر من مرة بنظرات "هالمان" الثاقبة تحدق فيها وتكاد تعريها تماما ، ولهذا فضلت ترك المائدة باسرع وقت ممكن متعللة بإرهاق الرحلة ، وتركت الرجلين بمفردهما يتناولان اقداح الشاي بالنعناع وهربت إلى غرفتها.

- صباح الخير يا انسة "برادي" ... هل نمت جيدا ؟

احست "چينا" بقشعريرة حادة : لقد كان هذا الصوت العميق الرخيم يتردد صداه في مخيلتها منذ ليلة الأمس .

ولم يسعها إلا ان تهنئ نفسها لأن الرجال الذين خالطتهم ابتداءً بوالدها قد علموها كيف تخفي احاسيسها ، وعلى الرغم من ان هذا الدرس قد بدا لها في طفولتها وشبابها الباكر قاسيا فإنه من غير شك قد اتى ثماره الآن ...

واجابت بلطف وبلهجة طبيعية :

- صباح الخير ياسيد "هالمان" ... لقد نمت نوما عميقا ... شكراً لك

واضافت بلهجة حادة عندما قرات في عينيه لونا من السخرية الماكرة .

- هل انت مستعد للرحيل ؟

واجابها بإيماءة من راسه وقد فاحت من حوله رائحة "ماء تواليت" قوية نفاذة. كان يرتدي سترة من الجلد مبطنة بالفرو فوق "بلوفر" برقبة مرتفعة اصفر اللون وكان ينتعل حذاءً كالذي يرتديه متسلقو الجبال مما ينبئ بمهمته المستقبلة ويمسك بيده حافظة اوراق من الجلد الاسود : حقيقة إن البروفيسير "هالمان" لايشبه في شيء الصورة



التي رسمتها له في مخيلتها .

وقال وهو ينحني لياخذ حقيبة سفر المراة الشابة :

- هل تسمحين لي بحملها عنك ؟

- يمكنني ان اتصرف بمفردي .

- لاشك في ذلك ... ولكن اليس امامك اشياء اخرى اكثر اهمية تقومين بها ؟

واضاف وهو ينظر إلى ساعة يده :

- خاصة إذا كنا نريد الوصول إلى قاعدة "اشلان" عند الظهر .

- كيف ذلك ؟ هل تريد الذهاب راسا إلى "اشلان" ؟ يجب ان نذهب اولا إلى "قان" .

- هناك تغيير في برنامج الرحلة ... الم يخبرك "جامي" بذلك ؟

- لا.

- ومع ذلك فقد قررنا ذلك سويا : فهو يعتقد ان "الهيلوكوبتر" ليست في حاجة إلى صيانة في الحال فرحلتك بها حتى الآن لاتزيد على ثلاثين ساعة ، لهذا فمن غير الضروري الوقوف في "قان" واستقر راينا على ان نطير انا وانت إلى "اشلان" ثم تعودين انت بعد ذلك إلى "قان" لإجراء الصيانة اللازمة والتزود بالوقود .

قالت "چينا" باقتضاب :

- كما تريد .

- اين تريدين ان اضع حقائبنا الخاصة ؟

قال ذلك وهو يحمل عنها حقيبتها.

- على الأرض تحت مقاعد الركاب .

كانت تريد ان تشرح له كيفية توزيع ثقل المهمات والاجهزة في بطن الطائرة ولكنه كان قد سبقها بعدة خطوات وهو يقول :

- لاتزعجي نفسك بعملية شحن الطائرة... فليست هذه هي المرة الاولى التي اقوم بها بمثل هذا العمل .. كما انني اعرف تماما قوانين التوازن والثقل.

هزت "چينا" كتفيها واستدارت على عقبيها واتجهت صوب مباني المطار : بعد عدة دقائق ستجد نفسها بمفردها إلى جانب البروفيسير

"هالمان" طوال اليوم بل خلال عدة أيام ... ليست هذه هي المرة الأولى التي يحدث لها فيها مثل هذه التجربة ولكنها لم تكن تشعر ابدا بمثل هذا الضيق ... والاضطراب .. ماذا يجب عليها ان تفعل ؟

ليس في مقدورها إلا ان تقبل هذا الوضع وإلاّ فسخ العقد وهو امر لن يروق ابدا لوالدها ...

لم يكن العمل الذي ينتظرها هو الذي يخيف المراة الشابة فهي مستعدة تماما للطيران راسا إلى "اشلان" والقيام ، بعد ذلك ، برحلات قصيرة بين جبال شرق تركيا ... إنها تهوى الطيران وتحب التحدي... لا ... إن التهديد يكمن فيه هو ... في "ديفيد هالمان" وفي جاذبيته التي لاتقاوم .

وفجاة تذكرت كلمات "جامي" الاخيرة :

- كنت اعلم ان هذا سيحدث في احد الايام ... لقد اصبحت مستعدة الآن ...

وكادت تتعثر في سيرها وتسقط عندما تحددت امام مخيلتها معاني هذه الكلمات لا .. هذا امر سخيف .. مستحيل ... إنها ليست مستعدة ولن تكون مستعدة في احد الايام ... وبكل تاكيد لن تكون كذلك مع رجل مثل "ديفيد هالمان" !

وعندما وصلت امام غرفة الطيارين دفعت الباب بعنف ولكنها ادركت انه يجب عليها ان تتحلى بقدر كبير من الصبر : كانت تصاريح الطيران تمنح لها في كل مكان خلال خمس دقائق ... اما هنا فلا .. لقد طلب منها الموظف التركي كتابة ثلاث نسخ من التصريح .. ومضت اكثر من اربعين دقيقة دون ان تحصل على الموافقة وقالت بنفاد صبر :

- لقد فحصت جميع الأوراق وفي حوزتي نشرة الاحوال الجوية ولا ارى سببا للتاخير اكثر من ذلك .

- ولماذا العجلة ؟ الا تحبين مدينتنا ؟

- بل احبها كثيرا ولكن امامي عقداً يجب ان انفذه وعليّ ان اطير في اقرب وقت ممكن ... إنك تضعني في مازق حرج

وصاح الموظف وهو يبتسم ابتسامة عريضة :



- انا ؟ إنني مستعد ان افعل اي شيء لإرضائك .. إذا رغبت ذلك .. فيمكنني ان اصحبك إلى خير مطعم في مدينتنا عند الظهر و ... ...

وقاطعته "چينا" في غضب :

- هذا غير معقول ... فعند الظهر ساكون بعيدة جدا .

واضافت وقد ادركت انه يجب عليها الا تستسلم لثورة غضبها :

- هل يمكنني ان احلق بطائرتي الآن ؟

- هل هناك مشكلة ؟

كان هذا هو صوت "ديفيد" واحست "چينا" بالارتياح ... ولكن سرعان ماراحت تلوم نفسها : إنها ليست في حاجة إليه ... إنها لم تكن ابدا في حاجة إلى اي إنسان لتحصل على ماتريده !

وقالت متعمدة الكذب :

- ليس هناك اي مشكلة وكل شيء على مايرام .

- لماذا هذا التاخير إذن ؟ لقد انتهيت منذ اكثر من عشرين دقيقة من شحن الأجهزة والمعدات في بطن الطائرة .

ولما ادركت انه يعي الموقف تماما اخبرته ان الموظف المسؤول يرفض إعطاءها إذن التحليق .

واستدار "ديفيد" صوب هذا الاخير والقى عليه عدة اسئلة باللغة التركية وراح الموظف يتفحص كومة الأوراق المبعثرة امامه على المكتب وختم إحداها وهو يومئ لـ"چينا" براسه ثم راح يوجه عدة كلمات لـ"ديفيد" .

لم يكن من الضروري ان تفقه "چينا" معنى هذه الكلمات ... واستبد بها الغضب وخطت عدة خطوات صوب باب الخروج ولكن "ديفيد" اسرع وامسكها من ذراعها وهو مستمر في الحديث مع الموظف التركي وكان شيئا لم يحدث ...

وارادت ان تتحرر من قبضته فجذبها إليه بشدة ولم تجد الشجاعة للابتعاد عنه ونظر إليها "ديفيد" وهو يبتسم ونطق بعدة كلمات اخرى باللغة التركية واسرع الموظف بتوقيع إذن الإقلاع وراحت "چينا" تتساءل عما قاله "ديفيد" .

وناول مسؤول الجمرك الأوراق لـ"ديفيد" وهو مكفهر الوجه واخذها



www.elromancia.com

منه هذا الأخير وهو يحدجه بنظرة احتقار واعطاها لـ"چينا" .

- هيا بنا ... لقد فقدنا من الوقت ما فيه الكفاية .

ولما اخذ يدفعها إلى باب الخروج لم يكن في وسعها إلا ان تعبر عن احتجاجها : لم يكن الموقف جيدا بالنسبة لها فقد استطاع ان يحقق في دقيقة واحدة ما لم تستطع هي الحصول عليه في ساعة كاملة ... لقد بدات الرحلة بداية سيئة ...

- إذا كان الرجال في هذه البلاد يركزون اهتمامهم على العمل اكثر من بحلقتهم في النساء لما ضاع كل هذا الوقت هباءً .

وقال وقد توقف عن المسير :

- لماذا ؟

- لاداعي لهذه الدهشة التي تبدينها فانا لا اقول إلا الحقيقة .

- انت قاسية .

- وماذا في ذلك ؟

- الا يحدث لك ابدا ان تتصرفي كامراة ؟

وقالت "چينا" وقد ضايقها المنحنى الذي اتخذه الحديث :

- ارجوك ... إنني اعتبر نفسي قائدة طائرة اما كوني امراة فلا ياتي إلا في المرتبة الثانية .

- آه ! لقد فهمت .

وقالت "چينا":

فيما بينها وبين نفسها.. "لا.. إنك لم تفهم شيئا" ولكنها ظلت صامتة : إن هذا الرجل يثير حنقها بملاحظاته هذه .

واستطرد وهو يشير باصبعه لمباني المطار :

- انت إذن معتادة على مثل هذه المواقف .

- هل تحاول تبرير سلوك هذا الموظف الغبي ؟

- لا ... بل اريد ان اشرحه .

كانت "چينا" تعلم انه يقول الحقيقة : لقد تربت وترعرعت في عالم من الرجال وكانت كامراة تثير تعجبهم وكان عليها ان تتعود على هذه الصعوبة وقد حذرها والدها اكثر من مرة: "إن المرء لايصبح بحارا إذا كان يخشى الماء !"



وقالت موجهة حديثها لـ"ديفيد" :

- انا لا استسيغ ان يعقد الناس لي عملي لمجرد انهم لايسايرون زمانهم .

- على كل حال لابد ان مهنتك تيسر لك الأمور .

واستطرد يقول بنفاد صبر .

- طالما ان موضوع إذن الإقلاع قد انتهى فارجو ان تسرعي فانا اريد ان اصل إلى "اشلان" في اقرب وقت ممكن .

وبعد هذه الكلمات اسرع الخطى إلى حيث تقبع الطائرة واضطرت "چينا" ان تحذو حذوه : كان مرجل الغضب ثائرا في دخيلتها لانه يعتبرها مسؤولة عن هذا التاخير ولكنها سوف تنتقم منه ... فعندما سيجتازان منطقة الاضطرابات الجوية فوق الجبال سوف يكون اكثر تواضعا واقل تعجرفا مما هو عليه الآن ...

واعادت هذه الفكرة السكينة إلى نفسها : كانت السحب السوداء الداكنة المنتشرة جهة الشرق تنبئ ان ساعة الانتقام قد اقتربت : سوف تزلزل عواصف "كابادوس" العاتية "البروفيسير هالمان" بعد قليل ... !

واستعدت "چينا" للصعود إلى الطائرة عندما ارتفعت قدماها من تحتها فجاه لسبب مجهول ... لم تدم هذه الرعشة إلا عدة ثوان ولكنها مع ذلك اضطرت للتشبث بباب الطائره حتى لاتقع على الأرض .

ولم يفت ذلك "ديفيد" الذي كان قد استقر على مقعده في الطائرة.

- ماذا بك ؟

- لاشيء ... كل شيء على مايرام .

وابتسم ابتسامة ذات مغزى :

- هل شعرت بالهزة الأرضية ؟

وتمتمت "چينا" وقد اطمانت ان اعصابها لم تكن هي المسؤولة عن تعثرها :

- آه ! لقد كان هذا هو السبب إذن...

- إن مثل هذه الهزات تحدث في هذه المنطقة عدة مرات في اليوم الواحد ولكنها هزات ضعيفة في معظم الأحيان لايكاد المرء يشعربها .

عندما صعدت المراة الشابة إلى متن الطائرة لاحظت انه قد أجاد



www.elromancia.com

توزيع صناديق المعدات والأجهزة وانها لم تكن لتفعل خيراً منه وراحت تختبر بسرعة أجهزة الطائرة استعدادا للإقلاع . كانت "كابينة" الطيار تبدولها دائما فسيحة رحبة ولكنها تبدو لها اليوم على العكس شديدة الضيق ليس فقط بسبب صناديق الأجهزة ولكن ، وعلى وجه الخصوص ، بسبب هذا الرجل الجالس إلى جانبها .

يجب عليها ان تتجاهله وتركز اهتمامها كله في عملها ... فهذا هو الحل الوحيد امامها ووضعت الخوذة المركب فيها الـ"ميكروفون" الذي يصلها بالمطار على راسها واعلنت لبرج المراقبة استعدادها للتحليق وحصلت على الإذن في الحال لخلو ارض المطار من الطائرات وسرعان ما بدا المحرك في الدوران وبدات الطائرة ترتفع ببطء صوب السماء وابتسمت "چينا" : لقد تم الإقلاع دون ارتكاب اي خطا . كانت الطائرة "الهيلوكوبتر" قد وصلت إلى ارتفاع مناسب يمكنها معه ان تتقدم في طيرانها .

واحست بعيني رفيقها تحدقان فيها :

- الآنسة "برادي" ؟

واجابته دون ان ترفع عينيها من على "تابلوه" الطائرة

- نعم يا "بروفيسير" "هالمان" .

- هل يضايقك ان نتحدث قليلا وانت تقودين ؟

ولم يسعها إلا ان تبتسم : ها هو راكب اخر يصاب بالغثيان ... واحد من هؤلاء المدعين الذين يتظاهرون بالشجاعة وهم على الأرض ولكنهم يفقدون كل توازنهم وهم محلقون في اجواء السماء ...! لقد بدا

- إذن - انتقامها حتى قبل بلوغ منطقة العواصف ...

راحت تنظر إلى "ديفيد هالمان" بطرف عينها واستبدت بها الدهشة البالغة :

إنه هادئ تماما لاتبدو عليه اي بادرة من التوتر ... كما ان وجهه ليس شاحبا كما كانت تتوقع ...

وقال وكانه قد قرا افكارها :

- انا لا اطلب منك ذلك لاضطراب اعصابي يا انسة "برادي" ولكني لم اركب طائرة "هيلوكوبتر" من قبل. ولما كنت من رجال العلم فإن كل تجربة



جديدة تستاثر اهتمامي .

وأجابت "چينا" :

- هذا لا يضايقني البتة.

نطقت هذه الكلمات بادب جم ولكن دون ان تنظر إليه .

- هل انت واثقة من ذلك ؟

- هذا يتوقف على موضوع الحديث .

- هناك مواضيع كثيرة يمكن ان نتحدث فيها.

كانت نبرة صوته غريبة جعلت قلبها يدق بشدة وخشيت ان يفضح ذلك حقيقة مشاعرها فادارت راسها صوبه وسالته:

- ماذا قلت لهذا الرجل في المطار؟

- قلت إنك جئت إلى هنا بناء على طلب الحكومة التركية وإنك تعملين معي في مشروع بالغ الاهمية يمكن ان ينقذ حياة الاف الناس.

وهزت المراة الشابة راسها وراحت تركز اهتمامها خلال دقيقة او دقيقتين في عجلة القيادة : لم تكن تتوقع ان يكون هذا هو موضوع الحديث الذي دار بين "البروفيسير" "هالمان" ومسؤول الشرطة .

وسالت وقد زوت ما بين حاجبيها :

- وهل ذلل قولك هذا جميع المشكلات ؟

وتردد رفيقها وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه .

- ليس تماما .

- حسن .. وماذا بعد ؟

وقال بهدوء :

- لقد ادعيت انك زوجتي وقد جعله ذلك يغير من سلوكه معنا .

استمعت له "چينا" دون ان تقول شيئا : لقد غير الموظف المسؤول إذن سلوكه لمجرد علمه انها زوجة لرجل اقوى منه ... ولم يسعها إلا ان تنفجر ضاحكة .. كانت تريد ان تبدي غضبها لـ"ديفيد هالمان" ولكنها لم تستطع : لقد كانت صورة الموظف وهو فريسة للحرج والاضطراب هي الوحيدة التي ارتسمت امام خيالها في تلك اللحظة .

استطرد "ديفيد" قائلا :

- انا سعيد لانك تقدرين روح الفكاهة يا انسة "برادي" ... لقد بدات



www.elromancia.com

اعتقد انك دائمة التجهم ...

- لاأعلم لماذا اضحك ... في الحقيقة انا لا اجد ما يضحك في هذا الموقف.

- إن الضحك يعيد صاحبه دائما ، تخيلي إذا كنت قد شرحت لهذا السيد افكارا عن حقوق المراة ... إن ذلك لم يكن ليجدي شيئا وكنت ساضيع الوقت سدى.. إن عالمه يختلف تماما عن عالمنا وكان عليّ ان احدثه باللغة التي يفهمها .

ووافقته "چينا" بهزة من راسها ولكن دون اقتناع

لقد قال: إذن إنها زوجته ... إن هذه الكلمات التي نطق بها "ديفيد" مازال صداها يتردد في راسها وتصيبها بنوع من الاضطراب كما لو انها كانت تعني شيئا "حقيقيا".

وحاولت الا تفكر فيها ولكنها ظلت تراودها على الرغم من علمها ان "ديفيد" لم ينطق بها إلا بهدف تسهيل الحصول على إذن الإقلاع .

ظهر ضوء احمر في "تابلوه" الطائرة واستمر بضع ثوان ثم اختفى ، وشعرت "چينا" بالارتياح لقدرتها على تغيير دفة الحديث لموضوع اخر واسرعت تقول :

- هل رايت ذلك الضوء الاحمر المتقطع الذي اضاء للحظات إنه يدل على ان المحرك قد وصل إلى سرعته الطبيعية لقطع المسافات الطويلة ، لقد تم إقلاعنا منذ ربع ساعة وعليّ ان اسجل هذه الملحوظة في سجل الطائرة وكذلك استهلاكنا من البنزين والزيت خلال كل ساعة طيران .

- انا لا افهم جيدا فيم تستخدم كل هذه الاجهزة المختلفة التي امامك . لقد لاحظت انك استخدمتها جميعا اثناء عملية الإقلاع وانك لاتلجئين إليها الآن إلا من وقت لآخر .

وقالت المراة وهي تضحك :

- إن عملية الإقلاع هي اكثر عمليات الطيران دقة وصعوبة بالنسبة للطائرة "الهيلوكوبتر". اما في الطائرة العادية فإن عملية الهبوط هي التي تعتبر من ادق العمليات ... وعلى وجه العموم فإن عملية القيادة ليست بالعملية الهينة.

- لقد ادركت ذلك منذ الوهلة الأولى .



وظل "ديفيد" يرقب المراة باهتمام ويتتبع كل حركة من حركاتها ، إن الركاب في العادة حينما لاتكون اعصابهم متوترة يهتمون بالمناظر الخارجية ... ولكن "البروفيسير" "هالمان" لم يكن كغيره من الركاب .

وسالها فجاة :

- بهذه المناسبة لماذا تفعلين ذلك ؟

- افعل ماذا ؟

- اعني لماذا اخترت هذه المهنة؟

- ولماذا لا ؟

- ليس هذا بالجواب الشافي ، لقد تعودت منك الدقة في التعبير.

- لم اكن اعلم انني يجب ان اجيب عن كل اسئلتك بالتفصيل .

- إنني لم اتوقع يا انسة "برادي" ان اجد قائد طائرتي من الجنس اللطيف ، وانت تعرفين ذلك ، وهذه هي المرة الاولى التي يحدث لي فيها هذا ، واعتقد انه من حقي ان ابدي دهشتي او - على الاقل - حب استطلاعي لمعرفة الدافع الذي يجعل امراة تختار مثل هذه المهنة ... إنني اراك عدوانية بعض الشيء في طريقة كلامك ...

- عدوانية؟

- نعم ... هل هذه العدوانية موجهة إليّ ام إلى الرجال بوجه عام ؟

- انا لاافهم ماذا تريد ان تقول ... إن مجرد رفضي الإجابة عن بعض اسئلتك لايعني ...

وقطعت "چينا" حديثها عندما سمعته يتمتم ببعض الكلمات التركية.

- آه ! نعم ... لقد بدات افهم ... إنك تريد ان تعلم لماذا تمتهن فتاة جميلة مثلي هذه المهنة الخشنة ... هذا هو الذي يثير تعجبك ... اليس كذلك ؟

وما كادت تنطق بهذه الكلمات حتى احست بالندم .. فمن الواضح ان "ديفيد هالمان" لم يقصد هذا مطلقا بحديثه ... لماذا إذن تتعمد الفظاظة معه ؟ ... إنه لا يستحق ذلك. إنها إذا كانت تسلك هذا السلوك فإن ذلك يرجع - ببساطة - إلى خوفها منه ... لانه يولد في نفسها عواطف واحاسيس حرصت دائما على ان تخبئها عن نفسها وقالت

وهي تحدق فيه :

- ارجو المعذرة يا "بروفيسير" "هالمان" .. ما كان يجب عليّ ان احدثك هكذا بهذه اللهجة .

ولم يجبها وراحت "چينا" تتساءل طوال فترة الصمت الطويلة ما إذا كانت قد تعدت حدود اللياقة والأدب ... ومن يعلم ربما رفض اعتذارها، وعلى الرغم من انها حاولت ان تقنع نفسها ان راي هذا الرجل ليس له اي اهمية بالنسبة لها إلا انها كانت ترجو ان يغفر لها تطاولها في الحديث .

- إنني ... احب الطيران كما ان والدي يملك شركة لطائرات "الهيلوكوبتر" .

- هل شجعك في هذا السبيل ؟

وارتسمت ابتسامة حزينة على شفتي المراة الشابة .

- ليس بالضبط .

كانت ذكرى رد فعل والدها حينما اخبرته برغبتها في قيادة الطائرات مازالت حية في مخيلتها كاليوم الأول ، لقد كان من الاسهل لها ان تعيش حياة قريناتها من الفتيات :

"إنهن يزاولن رياضة التزحلق على الجليد في "سان موريتز" او "كورشفيل" في الشتاء ويذهبن إلى "ريو" اثناء فترة الكرنفال او إلى "كان" اثناء عقد مهرجان السينما ... ويقابلن نفس الاشخاص في الحفلات والاستقبالات .

اما "چينا" فقد قررت عدم السير في هذا الطريق ... إنها تريد ان تعيش حياة حقيقية واصبح قرارها نهائيا عندما رات العديد من صديقاتها يصبحن ضحية لإدمان المخدرات والكحوليات ويقمن علاقات آثمة بالجنس الآخر ... لقد ادركت ان الشبان في هذا الوسط لايبحثون إلا على لحظات نشوة عابرة . وفي صبيحة ليلة من هذه الليالي غادرت مكان الحفل وهي تشعر بالغثيان وذهبت بمفردها إلى منزلها ... وكما هي العادة لم يكن هناك من يستقبلها وصعدت إلى غرفتها واسرعت تقف تحت الدش لتهدئ من ثورة غضبها ... إنها لم تشعر حتى بالرغبة في البكاء .. كان حفل الليلة هو آخر الحفلات



بالنسبة لها ... لقد اتخذت قرارها ولارجعة في ذلك ابدا ...

ارتدت بنطالونا قديما و"بلوفر" من الصوف ونزلت إلى قاعة الطعام . كان ابوها منهمكا في قراءة جريدة "الفايتشال تايمز" فلم يشعر بقدومها ولا بقدوم الخادمة التي كانت تحمل بعض الأطباق .

وقالت "چينا" :

- هل يمكنني ان احدثك بضع دقائق ؟

وتمتم والدها دون ان يرفع عينيه من الجريدة :

- نعم .. ماذا هناك ؟

- اريد أن أصبح قائدة "للهيلوكوبتر" .

ونحى السيد "برادي" الجريدة جانباً قبل ان يجيب بهدوء:

- لا ...

كانت "چينا" تتوقع هذا الجواب واستطردت تقول بصوت مخنوق:

- لقد انفقت الكثير من اجل تعليمي يا ابي ولكني لم افعل شيئا حتى الآن .

اعلم انه يمكن ان استمر في إهدار الوقت والنقود في حياة البذخ التي احياها الآن انتظارا لظهور زوج المستقبل . ولكني اقترح عليك شيئا آخر : سالتحق بكلية الحقوق واحصل على الليسانس الذي يؤهلني لشغل وظيفة مناسبة في شركتك وفي نفس الوقت ساتعلم الطيران .. ما رايك في هذا يا ابي ؟

وفكر والدها لحظة وتنهد واجاب اخيرا :

- اوافق على التحاقك بكلية الحقوق بشرط عدم الرسوب في اي سنة من سنوات الدراسة الثلاث .. فسوف لا امنحك فرصة اخرى.

- وإذا واظبت على النجاح ؟

- سنرى عندئذ ماذا يمكن عمله

- اريد ان تعدني بالعمل في شركتك .. بوصفي قائدة طائرة

- حسن ولكن إذا نجحت .

- سوف انجح يا ابي .

وحصلت "چينا" بالفعل على "ليسانس القانون" ... ورخصة القيادة . وعلى الرغم من دهشته فقد اضطر والدها إلى الوفاء بوعده

واصبحت طيارة منذ اكثر من عام وسالت :

- وانت .. ماذا دفعك لدراسة البراكين والزلازل ؟

- هل تريدين ان تعرفي ذلك حقا ، ام تهدفين فقط إلى تغيير دفة الحديث. وقالت المراة وقد علت جمرة الخجل وجنتيها :

- الامران معا .

- لدي انطباع اننا نفهم بعضنا تماما ...



# الفصل الثالث

حاولت "چينا" تجاهل ضربات قلبها التي ازدادت شدة وسرعة والقت نظرة صوب باب الطائرة: لقد تغير المنظر في اسفل ، فقد بدات الجبال تحل محل الوديان وكان الجليد الناصع البياض يغطي قممها... كانت الصخور تنتشر في كل مكان ، وقد تلاشت الثروة النباتية تماما فساد اللون الاسود القاتم جميع المنخفضات... كان هناك نهر يتلوى كالثعبان بين المنحدرات وكان هناك غلام يرعى غنمه بالقرب من الشاطئ .. كان ينظر إلى القطيع بإحدى عينيه ويراقب سنارة صيد الاسماك التي يحملها في يده بعينه الاخرى وعندما مرت الطائرة فوق راسه رفع إليها عينيه وراح يلوح بيده محييا وابتسم "ديفيد هالمان" ورد تحية الغلام.

- هل تريدين ان تعرفي لماذا وقع اختياري على هذه المهنة؟ لقد لقي اقارب امي حتفهم اثناء زلزال حدث عام ١٩٦٠ . كنت وقتئذ صبيا صغيراً ولكنني لم انس الالم الذي اجتاح امي واعتقد انني اخترت مهنتي بسببها . ومع ذلك فلم اكن اعرف هؤلاء الاقارب معرفة جيدة.. لقد وقفوا ضد زواج ابنتهم ... وعلى الرغم من انها ولدت في تركيا



www.elromancia.com

فقد ظلت إنجليزية ، وعندما ابدت رغبتها في الزواج برجل تركي ...

ونظرت إليه "جينا" وقد ارتسمت الدهشة على وجهها :

- تبدو عليك الدهشة ...

- نعم ... لا ... لا.. لكي اكون صادقة معك اعترف انك تنقلني من مفاجاة إلى اخرى كنت اتخيلك في الصورة التقليدية للعالم الإنجليزي ولكني عندما رايتك ادركت انني قد اخطات .

وتوقفت فجاة عن الحديث وقد شعرت بالحرج .

وقال لها بلهجة رقيقة :

- من فضلك ... قولي لي ماذا كنت تنتظرين ؟

- لماذا لا ؟

وراحت تصفه كما تخيلته بادق التفاصيل : رجل في خريف العمر له لحية قصيرة ، متجهم دائما ، لا يهتم بملبسه ومظهره الخارجي ... تائه في افكاره وكان ما يدور من حوله لايعنيه في شيء ،

وراحت تحدق في "ديفيد هالمان" عندما انتهت من رسم الصورة التي تخيلتها .. ترى ماذا سيكون رد فعله ؟

لم يقل شيئا في بادئ الامر وظلت نظراته تحملق فيها وكانه يريد ان يقرا افكارها الدفينة ... ويستكشف ما يدور في راسها وقلبها ... وشعرت فجاة انها ضعيفة هشة وانها بالنسبة له كتاب مفتوح ..

وفجاه انفجر ضاحكا :

- لقد فهمت الآن سر اضطرابك عندما وقع بصرك عليّ للمرة الاولى... اه ! يا "جينا" المسكينة ! بهذه المناسبة أمل ان تسمحي لي بمناداتك باسمك المجرد ... لقد تم تعارفنا الآن اليس كذلك ؟ وربما اصبحنا اصدقاء في المستقبل القريب. واجابت المراة الشابة بجفاء لم تكن تتوقعه او تريده :

- لاتستعجل الامور يا سيد "هالمان" .

وندمت في الحال على نطقها بهذه الكلمات : فهي تعبر عن الخوف الذي يولده هذا الرجل في دخيلتها ... لماذا لم تكتفي بالقول : ربما ... من يعلم؟

وصاح "ديفيد" وهو يضرب جبهته بقبضة يده :



- هذا صحيح ... لقد نسيت انكم - معشر الإنجليز - لا تتعجلون التاخي مع الغرباء .

- ولكنك نصف إنجليزي كما فهمت من حديثك .

- نعم ولكني نصف تركي ايضا ودماء اربعة الاف قرن من الفتوحات والحرب تجري في عروقي .

وقالت "جينا" وهي تبتسم :

- عندك الرد على كل شيء يا "بروفيسير" "هالمان" .

- ادعوني "ديفيد" ... لقد اسماني والدي "داوود" ولكن اصدقائي ورفقاء المهنة من الامريكيين او الإنجليز يدعونني "ديفيد" .

- هل تعمل في انجلترا ؟

- لقد اتممت كل دراساتي العليا في جامعة "كامبريدج" ثم عينت مساعدا لمدير مرصد "ادنبرج" واخيراً استاذا للعلوم الطبيعية بجامعة "لوس انجيلوس" .

- ما هو على وجه الدقة المشروع الذي جاء بك إلى تركيا والذي ساعاونك فيه ؟

قالت ذلك وهي تومئ براسها صوب صناديق الاجهزة والمعدات المكدسة خلفها .

- تريدين ان تعرفي لماذا انا في حاجة إلى كل هذه الاجهزة والمعدات؟

قالت وهي تبتسم:

- نعم ... واشياء اخرى ايضا .

- يجب ان تعلمي لكي اجيب على سؤالك.. ان مرصد "كانديلي" قد ارسل لي مؤخرا معلومات مهمة خاصة بهذه المنطقة... هل تعلمين انها اكثر مناطق العالم حساسية؟

- نعم.

- إن جبال شرق تركيا تعد امتدادا لمثيلتها في منطقة القوقاز ، والقشرة الأرضية في هذه المنطقة تتعرض لحركة بطيئة ولهزات ارضية في بعض مواقعها ، ويحدث هنا في تركيا ظاهرة لايعرف العلماء بالضبط منشاها ، ولكنهم مع ذلك نجحوا في رصدها ، لقد تزايدت شدة هذه الهزات في الحقبة الأخيرة في مواقع معينة مما

يشير ان الضغط في الاعماق قد تزايد بدرجة تصل إلى حد الخطورة .

- كما هو الحال في "سان فرانسيسكو" ؟

- نعم ... هو هذا بالضبط ، لقد ازداد نشاط الهزات الأرضية في الفترة الأخيرة بمنطقة "موسيجيني" ومهمتي هي دراسة هذه الظاهرة.

وقالت "چينا" بنبرة شابها الاضطراب والقلق :

- إذا كنت قد فهمت جيدا فإن هذه المنطقة اصبحت معرضة لهزات ارضية قوية .

- بل هناك ما هو اكثر من ذلك ... اسْتطيع ان اؤكد ان المنطقة معرضة لزلزال قوي في المستقبل القريب ، وهذا هو السبب الذي اريد من اجله تنفيذ مهمتي في اقرب وقت ممكن ... ربما استطاع الخبراء تسجيل بعض المعلومات تساعدهم على التنبؤ بوقوع هزات ارضية في مناطق اخرى من العالم ..

وعضت "چينا" على شفتيها : هل تساءل والدها عن المكان الذي ارسلها إليه وهو يعهد إليها بهذا العمل ؟ لقد كانت تعلم ان تركيا تمثل منطقة غير مستقرة وانها عرضة للزلازل ، ولكن ذلك لم يكن يعنيها في شيء حتى اليوم .

وسألت بصوت مخنوق :

- وانت ... يمكنك ان تعرف متى ستقع هذه الهزات ؟

- لا . ولكن الشيء الوحيد الذي يهم الآن هو الوصول إلى "اشلان" في اقرب وقت ممكن وان ابدا العمل .

واستطرد في إعجاب :

- ارى انه لايبدو عليك الخوف .

- وهل يدهشك ذلك ؟

- إذا اردت الصراحة ... نعم . إنني اعرف القليل من النساء ... اعني الناس الذين يستطيعون سماع ما اقوله الآن دون ان ينتابهم الخوف .

- وبماذا يجدي الخوف ؟ ثم إذا حدثت هزة ارضية ونحن في "اشلان" فلا اعتقد انه سوف يصيبنا سوء .

وقال "ديفيد" وهو يضحك :



- امل ذلك ، واريد ان اؤكد لك ان مشروعي يمكن ان ينقذ عشرات الآلاف من الأرواح هنا ... في هذه المناطق .

- وكيف ذلك ؟

- إذا استخلصت من عملي بعض النتائج المعينة امكننا القيام بخطة لإجلاء السكان في الوقت المناسب عند ظهور اول مؤشرات الخطر ، اما بالنسبة لنا فلا تخشي شيئا فقليل من الناس هم الذين يهلكون بسبب مثل هذه الهزات ، فالخسائر الكبيرة في الأرواح تنتج من انهيار المباني الضخمة ، وعدم وجود الإسعافات الطبية الضرورية، وشيوع الأوبئة وخاصة الفزع الذي يصيب السكان ، فإذا استطعنا إجلاء السكان من منازلهم والعمال من مقار أعمالهم بهدوء قبل وقوع الكارثة امكننا إنقاذ الكثير من الأرواح .

- افهم الآن شدة تمسك بتنفيذ هذا المشروع .

لم تلحظ "چينا" لانهماكها في تتبع.. حديث "ديفيد هالمان" السحب السوداء التي بدات تغطي قمم الجبال وتحجب اشعة الشمس ، وبعد قليل بدات الأمطار تنهمر وتعرضت الطائرة لهبات الرياح الشديدة ولهذا كرست المراة الشابة كل اهتمامها لعملية القيادة.

وقالت :

- سوف نتعرض قريبا لعاصفة هوجاء ... تمسك جيدا بمقعدك فسوف تتعرض لبعض الهزات الشديدة .

ولمع البرق في السماء وتبعه صوت الرعد وبدات كرات الجليد تتساقط على سطح الطائرة واضطرت "چينا" أن تناور بدقة ومهارة لكي تحافظ على توازن الطائرة ولاتنحرف عن مسارها .

وهطلت الأمطار الغزيرة بعد سقوط الجليد ولكن ظلت الرياح على شدتها ، ولما كانت الرؤية تكاد تكون معدومة اضطرت المراةُ الشابة إلى الاكتفاء باجهزة الـ"تابلوه" والخريطة التي تحملها لتحديد مسارها ، وعلى الرغم من جهودها بدات الطائرة تتارجح وهدات العاصفة اخيرا بعض الشيء : لقد مرت اللحظات العصيبة بخير ...

وعندئذ تذكرت راكبها ... كانت قد نسيته تماما خلال الربع ساعة الأخيرة .



elmenencia.com

وسالته :

- هل كل شيء على مايرام ؟

- نعم .

وقالت "چينا" لنفسها : إن "ديفيد هالمان" راكب يستطيع السيطرة على اعصابه ويظل ملتزما بالهدوء ولا يزعجها اثناء اللحظات الصعبة بالجاربالشكوى. كانت العاصفة قد انحسرت تماماً. لقد تلاشت فجاة كما بدات فجاة وظهرت الشمس من جديد ، وتنهدت "چينا" بارتياح .

- هل تحدث هذه الظاهرة الجوية كثيراً؟

كانت نبرة غامضة تشوب صوت "ديفيد".

- لا اعلم، فهذه هي المرة الأولى التي اطير فيها في اجواء تركيا، إنها بلدك ولابد انك تعرفها خيراً مني وانا من جانبي احاول التصرف على خير وجه ممكن اثناء تقلبات الجو هذه ...

والقت المراة الشابة نظرة على محدثها ودهشت عندما لاحظت شحوب وجهه ، كانت هناك نقط من العرق تتبلور على جبهته وفوق شفته العليا .

- هناك كيس من الورق خلف مسند المقعد الذي على يسارك .

- ماذا ؟

- في حالة ما إذا كنت تشعر بالغثيان .

لم تستطع ان تخفي ابتسامتها : لقد تحقق انتقامها ... وهاهي ذي اخيرا تكتشف نقطة ضعف فيه ...

- انا ... اشكرك ... كل شيء على مايرام .

قال ذلك بلهجة حازمة اثارت دهشتها .

وادركت انه يحاول بذلك إقناع نفسه بان كل شيء على مايرام حقا وشعرت بالإعجاب تجاهه ... إن هذا الرجل يستطيع ان يسيطر على نفسه في كل الظروف ... إن الركاب يتصرفون عادة كالاطفال في مثل هذه المواقف ، فهم يتحدثون كثيرا ويجارون بالشكوى .

ولكن لايوجد شيء من هذا لدى "هالمان" ... إن كل مايفعله هو التحديق امامه وسالها :

- هل يوجد ماء للشرب في الطائرة ؟



- لا ... هناك عصير الاناناس فقط .

قالت ذلك وهي تناوله زجاجة العصير واستطردت تقول :

- إنه خير من الماء القراح ...

- شكرا .

- وسمعته وهو يفتح غطاء الزجاجة بسرعة ويتجرع ما فيها دفعة واحدة ثم يطلق تنهيدة تدل على ارتياحه .

- ارى انك احسن حالا الآن ... إن هذا يحدث لجميع الركاب في الطائرة "الهيلوكوبتر" .

- ولكنه لايحدث لك ..

- إنها مسالة تعوّد كما ان الامر اكثر سهولة عندما يكون المرء مشغولا بالقيادة إنه لا يجد الوقت للتفكير فيما يحسه ... واعتقد ان نفس الشيء يحدث اثناء وقوع الزلزال.

قالت ذلك وهي تبتسم له في رقة .

وتلاقت نظراتهما : كانت عيناه مليئتين بالحنان ... والاعتراف بالجميل وزادت سرعة ضربات قلبها فاسرعت في التحديق امامها وقالت بصوت محايد :

- اعتقد اننا اقتربنا من اشلان.

وانحنى صوبها واشار إلى نقطة معينة بين الجبال :

- صدقت ... فهذه هي "اشلان" .

ولمست كتفه كتف المراة الشابة واحست بانفاسه تلفح اديم وجهها... واحست "چينا" برعشة تسري في اوصالها : إن هذا الرجل يثير في نفسها نوعا من الخوف غير الطبيعي ... لاتفهم له معنى او سبباً . وشعرت بجفاف في حلقها وبقلبها ينبض بشدة بين ضلوعها كجناحي حمامة مذعورة وراحت تردد فيما بينها وبين نفسها : يجب الا يلاحظ ذلك. وحركت "چينا" مقبض القيادة صوب اليسار فبدات الطائرة تنحرف جهة الشرق. كان المنظر الآن عبارة عن سلسلة من الأودية الخضراء وكانت بعض المباني مبعثرة هنا وهناك ... وشاهدا قرية صغيرة قابعة على حافة نهر تتلالا مياهه تحت اشعة الشمس. كانت المنازل متلاصقة بعضها ببعض وكانها تريد ان تهرب من



www.elromancia.com

الوحدة .

وبعد عدة كيلو مترات راحا يحلقان فوق بقايا مدينة قديمة... لابد انها مدينة ترجع إلى اقدم العصور تشهد على حضارة عظيمة كانت تزهى بها هذه المنطقة .

وتمتمت "چينا" :

- كم هي كبيرة ... ومقفرة .

- نعم ... إنه نفس الانطباع الذي تولد في اول مرة جئت فيها إلى هنا ولم ار بقعة اخرى في العالم على هذه الدرجة من العظمة والنبل .

واضاف في حماس :

- إننا نقترب ... انا ارى القاعدة .

- اين ؟

- هناك ... على اليمين .

قال ذلك وهو ينحني من جديد صوبها ووضع يده فوق كتفها واشار بيده الأخرى إلى الاتجاه الواجب اتخاذه ...

- نعم ... ولكني لا ارى طريقا ممهداً في هذا الاتجاه .

- بالضبط .

- كيف فعلت إذن لبناء القاعدة وإحضار الأجهزة والمعدات إليها ؟ ولماذا اخترت هذه البقعة الموحشة المنعزلة ؟ إن القرية والمدينة القديمة المهجورة اللتين حلقنا فوقهما يمكن الوصول إليهما بسهولة اكبر فقد لاحظت وجود طرق موصلة إليهما .

- كان من الضروري عدم وجود طرق بالقرب من القاعدة: فعدم وجود طرق يعني عدم وجود حركة مرور، وبالتالي عدم وجود اي ذبذبات طفيلية ناتجة عن تحرك الناس أو العربات ولكن لست انا الذي شيد هذه القاعدة في "اشلان" ... لقد شيدها جماعة من العلماء المتخصصين وراحوا يعملون بها منذ عدة سنوات وقد تم نقل جميع المعدات اللازمة بواسطة طائرات الهيلوكوبتر التابعة للقوات المسلحة التركية.

- لم اكن اعلم ان قوات الجيش تقوم بمثل هذه المهمات .

- لاتنسي انه عندما تدعو الضرورة للجوء إلى وسائل استثنائية فإن قوات الجيش هي الأجدر للقيام بها ، كما ان الرحلات لمثل هذه



القواعد تعد نوعا من التدريب للطيارين .

وقالت "چينا" بقلق .

- هل هناك اناس آخرون بالقاعدة ؟

- إن هذه القواعد صغيرة للغاية وليس من المجدي ان تعمل عدة جماعات من العلماء في نفس المساحات الجغرافية . إن اقرب جماعة من هذه الجماعات توجد على بعد مائة كيلو متر على الاقل من "اشلان"، وفي بعض الاحيان يصعب الاتصال بهذه الجماعات عن طريق الراديو بسبب سوء الأحوال الجوية .

- اوه ! اعتقد انني لا اعي تماما مفهوم المسافات في هذا البلد.

وارتعدت اوصال المراة الشابة : هكذا سوف يكون من المحتم عليها قضاء عدة ايام بمفردها مع "ديفيد هالمان" دون امل في حضور احد وبدون اي اتصالات بالعالم الخارجي .

وصاح فجاة :

- ها قد وصلنا ... اهنئك لقد كان الطيران رائعا .

راحت تدرس الموقع اسفل الطائرة : كانت هناك منطقة منبسطة بين جبلين عاليين وكان يوجد في احد اطرافها مبنى سابق التجهيز.

لم تكن المساحة المنبسطة كبيرة وكان عليها ان تتوخى الحذر للهبوط دون ان ترتطم بصخور الجبال .

وبدات "چينا" عملية الهبوط ببطء شديد وبدت الطائرة كورقة شجر جافة تسقط من غصنها حتى بلغت اليابسة وعندئذ استدارت صوب "ديفيد" وقالت وهي تبتسم :

- ها نحن قد وصلنا بسلامة الله !

- نعم ... كيف تجدين القاعدة .

كانت هناك نبرة سخرية في صوت "ديفيد" .

وتمتمت قائلة :

- إنها صغيرة ... صغيرة جدا .

لقد كانت كذلك بالفعل مما جعلها لاتشعر بالراحة في صحبة هذا الرجل الذي يثير في نفسها الاضطراب .

- ولكنها رغم ذلك اكبر من غيرها ... على العموم لقد اكدت لي انك

لاتريدين اية معاملة خاصة وانك مستعدة ان تعيشي في نفس الظروف كالرجال وسوف تجدين هنا ما اردت ، فليس امامك اي اختيار اخر !

واجابته "چينا" بإيماءة من راسها وهي تنظر إلى المبنى الصغير وكما توقعت لم يات احد لاستقبالهما ... سوف يعيشان إذن بمفردهما...

وشغلت نفسها بتدوين عدة ملاحظات في سجل الطائرة، وعندما انتهت من ذلك رات "ديفيد" يتناول وعاء من البلاستيك ، كان قابعا بجوار جدار المبنى ، وهبطت من الطائرة وهي تقول في دهشة :

- ماذا تفعل ؟

- احاول تشغيل المولد .

- المولد ؟

- نعم . فسوف ننعم بوجود الكهرباء ... إنها ضرورية لعمليات التدفئة والإضاءة وطهو الطعام .

- وماذا عن الماء ؟

- يوجد نهر صغير يغذي خزان المبنى بالماء الذي يصل حتى المطبخ والحمام .

- ايوجد كل ذلك بالفعل ؟ ... لقد خيل إليّ ....

- هيا ... يجب الا نضيع الوقت سدى فامامنا عمل كثير .

وتمتمت قائلة:

- نعم ... نعم بكل تاكيد . لاتوجد اي مشكلة بالنسبة لي إذا سمحت بذلك.

- بالتاكيد- الاحوال الجوية ... هل تريد ان تاكل اولا ام تفضل الذهاب لفورك للعمل ؟

وارتاحت للمنحنى الذي اتخذه الحديث بينهما ، لقد ساعدها ذلك على ان تبدو طبيعية ...

إن التفكير في العمل يشغل بالها ... ولا يجعلها تفكر في حياتها اليومية المستقبلة معه والتي عليها ان تعيشها بصحبته في القاعدة... وسوف ترتاح اكثر إذا طلب منها "ديفيد" التحليق من جديد ...

قال وهو يضع المفتاح في قفل الباب



- لايبدو عليك الحماس يا انسة "برادي" ، اعتقد انه من الافضل لنا ، بعد هذه الرحلة وقبل القيام بعمل صعب مكثف قد يستغرق ثلاث او اربع ساعات ، ان نتناول طعام الغداء واضاف وهو يبتسم:

- وهكذا ستتاح لك الفرصة لتهدئة اعصابك ... يمكنك ان تقومي بزيارة المبنى وساكون في انتظارك هنا ...

وبدات "چينا" جولتها.. كان المطبخ مجهزا بثلاجة كهربائية ومنضدة ومقعدين وكان هناك رف فوق الحوض وضعت فوقه شوكتان وملعقتان وسكينتان وطبقان "وكسارولة" واحدة ومقلاة... كانت هذه هي كل ادوات المطبخ !

وكانت الأرضية مغطاة ببساط تركي قديم حال لونه تماما وفي يمين المنضدة كان هناك باب يفضي إلى دورة المياه اما في اليسار فكانت توجد ستارة تخفي غرفة نوم صغيرة ولحق بها "ديفيد" وهو يحمل العديد من المعلبات الغذائية وسالها وهو يضعها في الثلاجة :

- هل يعجبك المبنى ؟

ولم تجبه "چينا" ... لم تكن تعرف ماذا يجب عليها ان تقول .

- لاتنسي اننا في قاعدة للابحاث وليس في فندق ، إن الرجال الذين يحضرون إلى هنا يعملون اكثر من ثماني عشرة ساعة على التوالي يوميا ولهذا فهم يكتفون بالرقاد في سرير مريح وتناول ما تحت ايديهم من طعام ...

واضاف وهو يشير إلى موقد البوتاجاز :

- لاتنسي ان امامنا عملا كثيراً والوقت ضيق ولهذا يجب ان نبدا غداءنا في الحال يطلب ماذا؟ إنه منذ وصولهما يبدو انه يميل إلى الاعتقاد بان المكان لا يلائمها وانها من ذلك النوع من النساء اللاتي لايكففن عن الشكوى والتذمر وهاهو ذا الآن يطلب منها تجهيز الطعام... عليها ان تفهمه من الآن أن عملها لن يقتصر على الوقوف امام موقد البوتاجاز وحوض المطبخ ... وإذا كان هناك عمل يجب إنجازه فإنها سوف تشاركه فيه .

- هذا ما كنت افكر فيه بدوري ولكن عملي يقتصر على قيادة الطائرة وليس القيام بدور ربة البيت ...

وقال وهو يحاول الاحتفاظ بهدوئه :

- اصغي إليّ ... إذا كنا نريد ان تكون الحياة هنا محتملة يجب على كل منا ان يتنازل ...

وقاطعته قائلة :

- انا لا اقوم ابدا بطهو الطعام عندما احمل احد الركاب .

- هل تريدين ان اقوم انا بذلك ؟

- ولم لا ... الن تاكل انت ايضا ؟

- لا ارى علاقة... ...

- وانا لا ارى سببا لان اقوم بكل الاعمال المنزلية بسبب كوني امراة.

- هل تستطيعين تشغيل المولد الكهربائي ؟

ونظرت إليه "چينا" دون ان تنطق بكلمة .

- ماذا تنتظرين ؟

- إنني لا اعرف كيف يعمل هذا المولد ولكني اعرف كيف انظف الـ"كاربيراتير" واغير الـ"بوجيهات" .

- إن المولد لايعمل بالبنزين ولكن بالديزل .

- اوه !

- فلتقومي إذن بمهمة الاتصالات بالراديو ... وبهذه المناسبة : سوف يحمل لنا العسكريون الوقود في نهاية هذا الأسبوع ، هل تظنين انك قادرة على حمل "باستلات" الديزل سعة الثلاثين لترا ؟

- بالطبع لا ...

- من إذن سيقوم بكل ذلك إذا كرست انا وقتي لإعداد الطعام ؟

وخفضت المراة الشابة عينيها : لقد كان على حق ... لقد ادركت الآن انه لم يكن يقصد الحط من شانها عندما طلب منها تجهيز الوجبات واستطرد قائلا :

-"چينا" .. لو كنت رجلا لتقاسمنا جميع الاعمال الخارجية ، كل حسب مقدرته وذوقه ولكن ... ...



- "ديڤيد" اعتقد ان ... يجب ان اعترف لك بشيء .

- ماذا ؟

- انا لا اجيد الطهو ... على الإطلاق ... كل ما اعرفه هو سلق البيض.. قالت ذلك وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيها .

وبدت عليه الدهشة وقال بعد ان تمتم عدة كلمات باللغة التركية :

- اي نوع من النساء انت ؟ الم تتعلمي قط تدبير امور المنزل وتحضير الوجبات ؟

- لقد غادرت امي المنزل وانا في الثامنة من عمري ولم ارها ابدا بعد ذلك ولهذا ...

وشعرت بالدموع تتبلور في عينيها من جراء هذه الذكريات الأليمة : لقد كان يومها مرهقا مُليئا بالضغوط ولهذا خانتها اعصابها واستسلمت ، لاول مرة منذ سنوات طويلة ، لاحاسيسها الجريحة والمها الدفين ... لكن لماذا هنا ؟ في هذه البقعة المنعزلة الموحشة ؟

واقترب "ديڤيد" منها وامسكها من ذراعها وعندما رفعت راسها صوبه راح يمسح الدموع التي سالت على خديها :

- انا اسف .

كان صوته مليئا بالحنان وفي هذه اللحظة شعرت حياله بالكره والبغض ...

فهي ليست في حاجة إلى عطفه ...

وقالت وهي تتخلص من قبضته :

- اين البن ؟

- في هذا الكيس .

- حسناً ... إن عمل القهوة من الاشياء التي اعرفها .

ونهضت واستطرد هو قائلا وهي مشغولة في البحث عن البن .

- ولكن الم يكن معك اقارب ... عمة اوجدة ...

- لا... ولم تكن المربية ودوداً حنوناً ولم تهتم صديقات والدي بي... لقد كنت طفلة رهيبة كما يقولون غير محتملة فلم يعن بي احد وعهدوا



www.elromancia.com

بي إلى مدرسة داخلية. وبالطبع طردت منها لسوء سلوكي والحقوني باكثر من خمس مدارس واستطعت على الرغم من ذلك . الحصول على شهادة "البكالوريا" وبعد ذلك لم افعل شيئا غير التمتع بالحياة على طريقتي الخاصة إلى ان قررت ان اصبح طيارة وانت تعرف الباقي .

راحت تضغط باسنانها على شفتها السفلى : ماذا جرى لها ؟ إن "ديفيد هالمان" نجح في إزاحة الاقنعة التي تختفي وراءها ... فقد راحت تقص عليه كل شيء بدون تحفظ، لقد فتحت له مغاليق نفسها وعليها الآن ان تكف عن اعترافاتها هذه باي ثمن ... إنها لاتريد ان يعرف خيبة الأمل الكبيرة التي تمخض عنها حبها الاول وهي في العشرين من عمرها... هذا الفتى الذي سخر منها.. ومن حبها بقسوة لا حدود لها .

وقال "ديفيد" وهو ينظر إليها بحنان :

- لابد انك تعذبت كثيرا يا "چينا"..

إنه يلمح بذلك لطفولتها الصعبة وهذا من حسن حظها : فيجب ان يجهل الباقي الم تعاهد نفسها بالا تبوح به لاحد ؟ وخاصة لرجل على هذه الدرجة من الخطورة مثل "ديفيد هالمان" ... لرجل لاتستطيع ان تنسى معه انها ... امراة...

وصاحت فجاة :

- كفى .. اتركني ... إن كل هذا لايهمك في شيء ...

- حسن ... ساقوم بتفريغ الطائرة .

- استطيع ان اجهز بعض الشطائر.

وقال بصوت محايد :

- عظيم ... إلى اللقاء بعد قليل .

وغادر الغرفة مسرعا وتبعته "چينا" بعينيها : لماذا يثير فيها الاضطراب هكذا ؟

ولماذا تقف منه هذا الموقف العدواني ؟ ... إنها لا تكاد تعرف نفسها...



وبدا الماء يغلي في الإناء فصبت بعضه في "فيلتر" القهوة الذي كانت قد وضعته فوق إناء من الزجاج وسمع صوت فرقعة: لقد تهشم الزجاج بملامسته للماء المغلي .... كيف لم تفكر في ذلك ؟ واطلقت المراة الشابة صرخة مدوية واسرعت لالتقاط بقايا الزجاج عندما عاد "ديفيد" مهرولا على اثر صرخة "چينا" . ولما رآها منحنية تلتقط شظايا الزجاج المهشم ادرك حقيقة ما حدث وابتسم .

- انا آسفة ... لقد ...

وقال وهو ينحني ليساعدها :

- لا عليك .

ورفعت عينيها صوبه : كانت ابتسامة صريحة تتراقص على شفتيه بينما لمعت عيناه بنظرة ماكرة.

فانفجرت ضاحكة ...

# الفصل الرابع

ادركت "جينا" فجاة انه لا داعي للضحك : لقد اساءت التصرف ... ماذا حدث لها ؟ إنها في العادة تستطيع التحكم في اعصابها لكيلا تضع نفسها في مثل هذه المواقف المحرجة .

وشعرت اليوم ولاول مرة ، بالخزي لعدم معرفتها تجهيز وجبة من الطعام وزادت الحادثة التي وقعت لها من حرجها واجتاحها شعور بالضعف الشديد تجاه "ديفيد هالمان" ... ترى ما هو رايه فيها الآن ؟

وقالت لنفسها : ماذا يهمني رايه ... إنها لم ترتكب اي خطا مهني وهذا هو المهم ومع ذلك لم يغادرها الشعور بالخزي والحرج...

وراحت تفكر وهي منهمكة في تنظيف ارضية المطبخ : ماذا يهم إذا كانت في نظره لاتمثل المراة التقليدية ... إن ذلك لايقلل من كفاءتها في شيء ... إن ذكاءها وموهبتها كطيارة هما اللذان يهمان في المقام الأول .

ومع ذلك فإن جميع المزايا التي كانت تعتز بها دائما : الجلد والتجربة المهنية والثقافة ... انهارت تماما امام "ديفيد" : لقد كانت



تريد ، في هذه اللحظة بالذات استبدالها بموهبة طهوالطعام ومزايا ربة البيت ...

قال "ديفيد" :

- حاولي تجهيز القهوة بينما ساقوم انا بإعداد الطعام .

- لا ... لقد قلت لك إنني ساعد بعض الشطائر .

- ولكن ليس امامنا الكثير من الوقت .

قالت المراة الشابة بعد مرور حوالي نصف الساعة .

- لقد كان الطعام لذيذا ... بعكس قهوتي .

- لم تكن هناك صعوبة في تجهيزه ، جبن الماعز مع حلقات من ثمار الطماطم والخيار واللبن الزبادي ... إنها وجبة مغذية وسريعة التحضير . انا لا احب قضاء وقت طويل على مائدة الطعام .

وسالت "جينا" :

- وهل والدتك هي التي علمتك تحضير مثل هذه الوجبات .

- ليس تماما .... إننا نتعاون في المنزل في القيام بجميع الأعمال ، كانت امي امراة متفتحة الفكر ولم تفرق ابدا بين الصبيان والبنات كان اطفالها الخمسة يقومون بالاعباء المنزلية.

وقالت "جينا" بلهجة تشوبها المرارة :

- لابد انكم كنتم تحدثون الكثير من الضجيج .

وحاولت ان تطرد من ذهنها صورة الأسرة السعيدة المتماسكة ... الأسرة التي هي على طرفي نقيض من اسرتها ... الممزقة الحزينة .

وقال "ديفيد" :

- إنها حياة الأسرة ... اعتقد انك ستحبين والدتي إذا عرفتها ..

- بكل تاكيد ، ولكن ماذا سيكون رايها في ... في طيارة شابة .

- سوف تعجب من غير شك بكفاءتك ومزاياك العديدة .

واحست "جينا" بالحرج مرة اخرى ... هل يسخر منها!

- إنك ...

- اريد ان اقول ببساطة إنه لكي يحبك شخص ما يجب ان تحبي

انت نفسك اولا ...

- شكرا لهذا التحليل يا دكتور "فرويد" !

قالت ذلك بلهجة تفيض بالسخرية ، وخشيت ان يستمر الحوار على هذه الصورة ولكنها شعرت بالارتياح عندما القى "ديفيد" نظرة على ساعة يده وهب واقفا .

- يجب الا نتكاسل اكثر من ذلك ، إن الساعة الآن الواحدة والشمس تغيب سريعا في هذه المنطقة وراء الجبال وليس امامنا غير ثلاث ساعات فقط سنقوم بغسل الصحون فيما بعد ... ساحضر بعض المهمات والحق بك في الحال

وقالت "چينا" بلهجة ماكرة :

- سمعا وطاعة ايها الرئيس ...

وتمتم "ديفيد" قائلا وهو يبتسم :

- دائما متمردة يا "چينا" !

واسرعت المراة الشابة إلى حيث توجد الطائرة : إنها تشعر بانها في مكانها الصحيح داخل طائرتها وامام اجهزتها ... تشعر بالراحة والامان ... تشعر بكفاءتها وانها تقوم بتادية مهمتها ومساندة البروفيسير "ديفيد هالمان" بدون خوف او اضطراب. عليها ان تنسى حادث القهوة ، او على الاقل تحاول النظر إليه كحادث تافه ... إنها ستتعلم ما يجب عليها عمله في مثل هذه الاحوال عندما يتاح لها الوقت ... وهذا كل شيء ... لن يكون امامها شيء تفعله بعد قليل غير الانتظار عندما ينهمك رفيقها في العمل وستكون الفرصة مواتية لها لتبدا محاولاتها الاولى في فن الطهو ، فعليها ان تشغل نفسها بدلاً من ان تظل عاطلة لقد احضرت بعض الروايات معها ولكنها لن تستطيع القراءة طوال اليوم ...

وجاء "ديفيد" وهو يحمل جاروفا وبعض الحبال والكابلات ولم يسع "چينا" إلا ان تبتسم :

- هل يدهشك هذا ؟



- اتسال ذلك لانني ابتسم ؟

- انا لم اصادف في حياتي امراة مثلك .

وقالت في حرج :

- هل نبدا التحليق ؟

- نعم ... انا مستعد .

وبدات الطائرة الهيلوكوبتر ترتفع ببطء .

وقال "ديفيد" بعد ان انتهت مناورات الإقلاع :

- ارجو الا تنقمي عليّ ... فانا لم احاول جرح مشاعرك .

ولم تجبه المراة الشابة .

- هل تعلمين انني بدات افهمك من خلال المعلومات القليلة التي قلتها لي عن اسرتك.

كان صوته يفيض بالرقة حتى إن قلب "چينا" بدا يخفق بشدة.. إنه يتحدث إليها بحنان فياض .

وقالت :

- ارجو المعذرة ... لقد كنت غفلة بعض الشيء معك .

- لقد نسيت ذلك ، علينا الآن ان نركز اهتمامنا في العمل وسوف نتحدث هذا المساء .

- حسناً مادمت تريد ذلك .

وتبادلا الابتسامات ومع ذلك فإن "چينا" لم تكن مطمئنة تماما.... إن الحديث مع هذا الرجل لا يخلو من المخاطر ... إنها تعلم ذلك جيدا فإنها تصبح هشة تماما امام نظراته العميقة الدافئة ولكن كيف يمكن ان تعرف عنه المزيد إذ لم تتحدث معه ؟

إنها لا تستطيع ان تنكر انها ترغب بشدة في معرفة كل شيء عنه : لماذا ينجح "ديفيد هالمان" في كسر جميع الحواجز التي احاطت نفسها بها ؟ إن كلمة منه او نظرة تثير في نفسها الاضطراب ... ولم يحدث لها ان احست بهذا الشعور مع اي رجل آخر ولا حتى مع الشاب الذي احبته وهي في العشرين من عمرها ...

وصافح اذنها صوت "ديفيد" :

- حسناً ... سوف نضع هذه الاجهزة كل عشرة كيلو مترات .

واستطرد وهو يشير باصبعه إلى نقطة معينة في الوادي الذي تحفه الجبال من كل جانب .

- ابتداءً من هذا النتوء الصخري الذي ترينه هناك .

- هل هذه هي البقعة التي يمكن ان تكون محور الزلزال ... إنها ليست بعيدة عن القاعدة.

- ليس بالضرورة . إن الابحاث التي تمت تشير إلى ان مركز الزلزال يمكن ان يكون في نقطة ما من مساحة تقدر بحوالي خمسين كيلو مترا حول "اشلان" .

وارتعدت اوصال "چينا" ولكن ماذا يمكنها ان تفعل ؟ إنها هنا الآن وامامها مهمة يجب ان تنجزها ... وسوف تفعل ذلك...

في حوالي الساعة الرابعة اختفت الشمس وراء قمم الجبال وبدات درجة الحرارة في الهبوط من دقيقة لاخرى وهبت على المكان رياح ثلجية ولم تخل عملية الهبوط من الصعاب بسبب انعدام الرؤية تقريبا .

انتهى "ديفيد" من زرع اجهزة القياس في خلال ساعة تقريبا... لقد كان من الضروري ان يعودا إلى القاعدة قبل حلول الليل.

وقالت "چينا" :

- إن الضوء يختفي بسرعة.

- نعم ... لقد انتهيت من إقامة خمسة اجهزة ويمكننا ان نكمل العمل غدا.. هل كل شيء على ما يرام ؟

ولم تجرؤ المراة على ان تخبره بانها مرهقة تماما .

قالت :

- لاانكر انني مسرورة لقرب عودتنا إلى القاعدة .

وقال "ديفيد" :

- لقد كادت الرياح الشديدة تقتلعني من مكاني فكيف استطعت



الحفاظ ، في هذه الظروف على اتزان الطائرة ؟

وقالت "چينا" بتواضع :

- إنها مسالة خبرة وتجربة . إن المشكلة الوحيدة هي استهلاكي لكمية اكبر من الوقود ولكن لحسن الحظ لدينا ما يكفي للعودة إلى القاعدة وإلا كان علينا ان نعود سيرا على الاقدام لمسافة تزيد على الثلاثين كيلو مترا .

وقال مازحا :

- هذا بالإضافة إلى اني اكاد اموت جوعا وانتظر وجبة دسمة من يد طاهية ماهرة واثناء رحلة العودة راحا يتحدثان كصديقين قديمين ولكن ما كاد بصر "چينا" يقع على المبنى الصغير في القاعدة حتى داهمها الخوف والتوتر .

فإذا كان هذا المبنى سيوفر لها الدفء والراحة في هذه الصحراء المليئة بالاحجار والجليد فإنه ايضا يمثل خطراً بالنسبة لها ... خطرا لايمكن توقعه كعواصف الصيف ...

وتركت "ديفيد" يسبقها إلى المنزل وراحت تدون ملاحظاتها في سجل الطائرة وتختبر طويلا كل اجهزة القيادة قبل ان تاخذ طريقها بدورها إلى المبنى وابتدرت رفيقها قائلة:

- اعتقد انه من الافضل مع هذه الرياح الشديدة ربط الطائرة باحد الأعمدة. إن كابلا غليظا يفي بالغرض .

بدا لها ان هذه الملحوظة التي تخص عملها وسيلة جيدة لتنسيها الافكار التي تعصف في عقلها .

واستمر "ديفيد" في العمل الذي كان يقوم به وقد شمر كمي قميصه.. كان يقشر البصل .

واستطردت تقول مرة اخرى :

- ساكون مطمئنة اكثر لو قمت بربط الطائرة باحد الأعمدة .

واجابها "ديفيد" :

- ارى ان الطائرة ثقيلة بما فيه الكفاية ولن تؤثر فيها حتى الرياح



www.elromancia.com

الشديدة كما انها في مامن وهي تربض وراء الصخور .

- انت على حق من غير شك ، إن ابي يجعلني مسؤولة عن الطائرات التي يعهد بها إليّ ولا اريد ان تصاب باي سوء ... كما انها الوسيلة الوحيدة لمغادرة هذا المكان ...

قال "ديفيد" وعيناه تلمعان ببريق ماكر :

- لماذا يشغلك الرحيل إلى هذه الدرجة ؟ لقد وصلنا بالكاد ... وامامنا عمل كثير.

وخيل لـ"چينا" ان قلبها سيتوقف عن النبض وتمتمت وهي تتحاشى نظراته :

- تريد ان تتحدث عن ... الهزات الأرضية ؟

- وماذا غيرها ؟

كان صوته الدافئ العميق بريئاً ، ولكن "چينا" رات في عينيه البريق الماكر وادركت انه يحاول إثارتها وتحديها.. ومرة اخرى اتخذ الحديث المنحى الخطر الحساس وسالته :

- هل يمكنني ان امد لك يد المساعدة ؟ ماذا اعددت لنا من طعام ؟

- ريش من لحم الضان وارز بالبصل والفلفل الاحمر الحريف . لقد تعلمت من امي طريقة إعداد هذه الوجبة، وعليك انت ، اثناء ذلك، تجهيز الاسرة ووضع القرب الساخنة تحت الملاءات والبطاطين، سوف تجدين كل مايلزمك في الصوان الموجود في الحمام وإذا انتهيت قبل ان اجهز انا الطعام فعليك بإعداد المائدة.

راحت "چينا" تتساءل عما سوف تجده في غرفة النوم واحست بالارتياح عندما وجدت حاجزا من الخشب يقسم الغرفة إلى جزئين ويتوسطه باب صغير : ستستطيع إذن ان تنعم بوحدتها وخصوصيتها ... وانهمكت في ترتيب السريرين عندما صافح سمعها صوت "ديفيد" .

- ارجو ان تضعي لي وسادتين فانا احب القراءة قبل النوم .

واثارت رائحة القلي الآتي من المطبخ شهية المراة الشابة ولكنها



كانت تشعر بالإرهاق والتوتر وتمنت لو استسلمت للنوم في الحال.

وجاءها صوت "ديفيد" من جديد :

- العشاء جاهز يا "چينا" .

واجابت :

- ساحضر في الحال :

ولكن بدلاً من ان تنتهي من ترتيب السريرين جلست على احد المقاعد وقد شغلها التفكير : لقد كانت دائما تتمنى ان تعامل على قدم المساواة مع الرجال ولكنها بدات تدرك كيف يمكن ان يصبح مثل هذا الوضع صعبا عسيرا ... فالليلة مثلا كانت تتمنى ان تجد نفسها بمفردها في غرفة صغيرة هادئة.. بعيدة عن الخطر الذي يمثله "ديفيد". لقد كانت تعتقد حتى هذه اللحظة ان ممارسة مهنة يقوم بها الرجال عادة يجعلها على قدم المساواة معهم ولكنها اكتشفت الآن نوعا من الحساسية ومن الضعف حاولت دائما ان تخفيه ... لاشك ان مهنتها تطلبت دائما وجودها وسط الجنس الآخر ولاشك انها تستطيع قيادة الطائرة "الهيلوكوبتر" افضل من اقرانها من الرجال ...

ولكنها مع ذلك لن تكون ابدا رجلا ... إنها امراة ولانها تشعر بنوع من الجاذبية صوب "ديفيد" فقد فتحت اخيرا عينيها : لقد استطاع ان يولد في نخيلتها بعض المشاعر والاحاسيس المجهولة او التي اسدل عليها ستار النسيان ... لقد بعث الدفء في قلبها و...

وقطع صوت "ديفيد" حبل تفكيرها :

- "چينا" الم تنتهي بعد ... هل وجدت كل مايلزمك ؟

وهبت المراة الشابة واقفة في الحال وصاحت في عصبية :

- نعم .. نعم ... انا في طريقي إليك ...

ولحقت به في المطبخ وساعدها على الجلوس قبل ان يتخذ مكانه إلى جانبها وبدلا من ان يسعدها سلوك "الجنتلمان" هذا زاد من توتر اعصابها دون ان تدري لذلك سببا ومع ذلك فقد تظاهرت بالهدوء :

- انا لم اشعر في حياتي بالجوع مثل الليلة .

ولم تجد ما تقوله اكثر من ذلك : لماذا هذه الكلمات الغبية ؟ كان بريق ماكر يرقص في عيني "ديفيد" ولكنها قرات فيهما ايضا دلائل الاحترام. وخفضت "چينا" راسها وبدات تتناول طعامها ... كان "ديفيد" يبدو مستغرقا في التفكير وكان هذا هو ما تتمناه وانتهى العشاء في صمت.

ونهض "ديفيد" ليرفع الصحاف عن المائدة اما "چينا" فراحت تتثاءب: إنها تشعر الآن بالإرهاق الشديد .

وقال رفيقها بصوت هادئ :

- ارى انك في حاجة إلى النوم العميق .

- انا على خير حال ... لقد اردت ان استرخي بعض الشيء .

- ليس من الغريب ان تشعري بالتعب ..فالمهمة لم تكن سهلة.

وقالت متعمدة الكذب :

- لقد قمت بما هو اصعب منها .

- مهما كان من امر فانا اريد ان اعبر لك عن إعجابي بكل ما قمت به حتى الآن .

اعتقد انك على الرغم مما قلته لك هذا الصباح ، لم تتوقعي ان يكون المنزل هكذا خاليا من معظم اسباب الراحة .

- هذا صحيح ولكني احاول ان اتاقلم على هذا الوضع ... إن ذلك جزء من عملي .

- ربما .... لقد انجزت كل ما يجب عليك عمله الليلة .... اما انا فعندي ما يشغلني بعض الوقت وساظل هنا في المطبخ .... يمكنك انت ان تاخذي دشا وتاوي إلى فراشك .

وادركت انه يحاول ان يجعل الأمور سهلة بالنسبة لها ... ولكنها بدلا من ان تقبل هذا العرض الذي كانت تتمناه بالفعل رفضته بشدة... إنها لاتريد ان تبدو هشة ضعيفة ...

- لقد نسيت غسيل الصحون ... انا لست مجهدة كما تتصور...

واطلق "ديفيد" تنهيدة تدل على نفاد الصبر وارتسمت علامات



الغضب على وجهه .

- انت غير محتملة... ومن المستحيل ان يرضيك المرء .

- ربما ؟ وماذا بعد ؟ ارجو ان تكف عن الحكم عليّ فانا كما انا... إنني لم اتعود في اسرتي على مثل هذه المجاملات .

- كما تريدين .

- هل ترغب في قليل من القهوة ؟

قالت ذلك لتضع حدا لهذا الموضوع .

لقد كان في نيتها بالفعل إعدادها : لقد تكفل هو بإعداد الطعام وعليها ان تعد القهوة ولكنها ما كادت تقف على قدميها حتى ارتعشت ساقاها .

- لاوشكرا ... ربما فيما بعد ... الم اقل لك إنك في حاجة إلى الراحة ؟ ربما تعتبرين ذلك نوعاً من الضعف الانثوي ولهذا فانت ترفضينه .

وتمتمت "چينا" وهي تتحاشى النظر إليه :

- اعتقد .... ليس الأمر بذي بال .

وقال "ديفيد" بنبرة حنون :

- إنك مثل زهرة الصبار يا"چينا"... هشة ولكن محاطة بالاشواك وارتسمت ابتسامة رقيقة على شفتيه ثم استطرد قائلا :

- ارجو ان تعلمي انني لا اريد بك سوءاً ... استرخي إذن وتخلصي من المخاوف التي تجعلك متنمرة دائما ... والآن اجلسي فسوف يصبح كل شيء على مايرام بعد قليل.

واطاعت "چينا" وكان قوة خفية ترغمها على ذلك .

وسمعته يجر احد المقاعد ويجلس وراءها ... كان شديد القرب منها حتى إنها احست بانفاسه الحارة تلفح عنقها :

- "ديفيد" .

- صه ... واغمضي عينيك واحست باصابعه تضغط على كتفيها في حركات دائرية ثم تنتقل إلى عنقها وتعود مرة ثانية إلى كتفيها ...

وزايلها التوتر فجاة ، واحست وكانها قد استيقظت من سبات عميق قضى تماما على كل ما كانت تعانيه من تعب وإرهاق:

- شكرا يا "ديفيد" ... احس انني شخص اخر الآن ... ولكن من علمك هذه الطريقة السحرية في محاربة التوتر ... اهي امك ؟

واجاب بصوت منخفض :

- لا ... بل زوجتي ...



# الفصل الخامس

عندما استيقظت "چينا" كان الظلام لايزال يرخي سدوله وكانت الامطار في الخارج. تتساقط بشدة . وراحت ، خلال بضع ثوان ، تحاول ان تتذكر بدون جدوى المكان الذي توجد فيه ... لقد استسلمت لنوم ثقيل عميق في تلك الليلة وكانت احلامها بهيجة سعيدة ولكنها كانت قد نسيتها تماما ، ولكن عندما رات الجدار الخشبي والباب الصغير الذي يتوسطه اصبح كل شيء واضحا امام عينيها ... إن سرير "ديفيد" يوجد على الجانب الآخر من هذا الجدار إنها لم تنس ذلك ...

لقد اخذت دشا واوت إلى فراشها في الحال... ارتدت "بيجامة" حريرية واستلقت على ظهرها في الفراش وسرعان ما خيل إليها انها ممددة على احد البلاجات ذات الرمل الناعم الدافئ بجانب رجل حنون باسم ولكن سرعان ما استسلمت للنوم .

واصاخت السمع.. كان الصمت التام يخيم على المكان ... ترى كم



www.elromancia.com

هي الساعة الآن ؟

وجاءها صوت "ديفيد" الذي ربما شعر بها وهي تتحرك .

- هل يمكنني الدخول .

واجابته "چينا" وهي تسحب الاغطية فوقها :

- نعم ... بكل تاكيد .

كان يرتدي قميصا ابيض قصير الكمين وبنطلونا داكن اللون وكانت رائحة العطر التي تفوح منه تشير إلى انه قد انتهى للتو من حلاقة ذقنه ، ناول المراة الشابة قدحا من القهوة وهو يقول :

- تناولي هذه القهوة فسوف تساعدك على الاستيقاظ تماما .

- شكرا .

- ونظرت إلى ساعة يدها وقالت:

- الساعة التاسعة... ما كان يجب ان تتركني نائمة حتى الآن... لم اكن ادري ان الوقت متاخر هكذا.

- كنت في حاجة إلى النوم.. كيف حالك هذا الصباح؟

- على خير حال.. ما هو برنامج اليوم؟

- هذا يتوقف عليك إلى حد ما.. هل يمكنك التحليق في هذا الجو الغائم الممطر قال ذلك وهو يشير باصبعه إل النافذة.

- نعم.

- تقول الارصاد الجوية إن المطر سيكف عن الهطول بعد قليل ولكن الرياح ستصبح اشد قوة.

- لهذا يجب ان نبدا العمل في اقرب وقت ممكن...

لم يتبادلا طوال فترة الصباح غير الحديث العادي الخاص بالعمل، واقام "ديفيد" بقية اجهزة الاستشعار بدون صعوبة وبعد عودتها ظل "ديفيد" صامتا متباعدا وكانه يريد ان يتحاشى التقارب الذي حدث بينهما الليلة السابقة وهو يدلك كتفيها وعنقها.

واقترحت "چينا" ان تقوم هي بتجهيز الغداء ووافقها بدون نقاش وبدون ان ينطق باية ملحوظة ساخرة كما هي عادته حتى الآن، لماذا



تغير هكذا. لماذا لا يتحدث معها كما فعل بالامس؟ هل ادرك مدى ضعفها امامه؟.. إنه يريد من غير شك - لانه متزوج - الا يحدث اي تقارب بينهما...

واحست "چينا" بالخوف يداهمها وهي منهمكة في إعداد الطعام. كيف ستستطيع ان تواجه نظراته مرة اخرى؟ وكيف سيمكنها ان تمكث معه هنا بمفردها؟

واقترب "ديفيد" من الحوض ليغسل يديه وابتعدت "چينا" قليلا وهي تلقي نظرة اخيرة على الـ"رافيولي" الذي كانت تقوم بإعداده ولامست كتفه كتفها وتلاقت نظراتهما وادركت "چينا" انه يعلم مايدور في خلدها .

وبعد ان جفف يديه تمتم بصوت لايكاد يسمع :

- "چينا" ؟

ورفعت راسها ببطء ورات في عينيه بريقا غامضا ولمس خدها باصبعه برقة متناهية وابعد إلى الوراء خصلة من شعرها الذهبي كانت تتهدل فوق جبهتها ... واقترب منها وطبع قبلة طويلة على شفتيها .

وفجاه شعرت "چينا" بالارض تهتز من تحت قدميها ... واستمر ذلك لعدة ثوان ثم اصبح كل شيء طبيعيا بعد ذلك .

وتمتمت "چينا" وقد تلاحقت انفاسها .

- لقد كانت ... هزة ارضية ... اليس كذلك ؟

وقال "ديفيد" وهو يبتعد عنها :

- بلى ...

وقالت "چينا" لنفسها ، إذا كان مقدراً لها ان تموت فليكن ذلك بين ذراعي هذا الرجل .... ولكن ليس في الحال ... ليس في اللحظة التي ادركت فيها معنى الحياة الحقيقية !

لم تدر المراة الشابة ما هو السلوك الذي يجب ان تتبعه حيال هذا الرجل الذي نجح في غزو قلبها ... لقد اشاعت هذه القبلة الاضطراب



www.elromancia.com

الشديد في بخيلتها ... ومع ذلك قالت بصوت حاولت ان يكون طبيعيا:

- ما اغرب الإحساس الذي شعرت به ... إنني اعتبر الأرض شيئا قويا ثابتا اما هنا ...

وقال "ديفيد" مقاطعا وهو يجري صوب الباب :

- تناولي طعامك بدوني .

- ولكن انت ؟ إلى اين انت ذاهب ؟

- يجب ان اراجع بعض الأجهزة في الحال .

- ولكن .

- ساتناول طعامي فيما بعد .

وغادر الغرفة واغلق الباب خلفه وشعرت "چينا" فجاة انها وحيدة في هذا العالم ...

بدونه ... ترى لماذا اسرع هكذا في الذهاب ؟ فحتى إذا كان يتوقع حدوث زلزال اكثر قوة فإن ذلك لم يكن ليمنعه ان يخبرها بما يزمع القيام به.

هل اسف على هذه القبلة ؟ وهل انتهز فرصة هذه الهزة الأرضية الخفيفة ليلوز بالفرار خوفا من ان يضعف امامها ... ولكنها مجرد قبلة ...

لا ليس هذا صحيحاً... وتعلم "چينا" ذلك تماما ... تدرك ان لعبة الحب هذه اصبحت تتسم بالجدية والخطورة ... إن لـ"ديفيد" زوجة ومن اجلها يجب ان ... ينسى "چينا" ..

إنهما يلعبان بالنار ومع ذلك فهي على استعداد ان تلقي بنفسها في هذا الاتون الملتهب ... ... إن قبلة "ديفيد" قد غيرتها تماما ... نعم كم تغيرت بين ليلة وضحاها !

إنها لاتكاد تعرف نفسها في هذه المراة الجديدة المتفتحة للحب .



وعاد "ديفيد" وقد بدا عليه الانزعاج :

- هيا اسرعي ... انا في حاجة إليك .. يجب ان نستقل الطائرة. -

متى ؟

- في الحال.

- ساغير ملابسي ... ولكن ما هو هدف التحليق الآن ؟

لم يجبها.

وسالته من جديد وهما يصعدان إلى متن الطائرة:

- الا تخبرني ؟

- ماذا تريدين ان تعرفي ؟

- قد يكون من المفيد ان تخبرني بطبيعة المهمة التي نقوم بها ... الا ترى ذلك ؟

- رحلة قصيرة في الوادي .. لمسافة عشرين كيلو مترا لا اكثر.

- ولكن لماذا ؟

- اريد ان اقوم بتفجير معين لاختبار كفاءة اجهزة الاستشعار... يجب ان يتم ذلك قبل ... وقوع الزلزال .

واضاف بلهجة حادة :

- هل الامر واضح الآن ؟

- نعم ... ولكن حاول ان تفهمني ... إن كل هذا جديد بالنسبة لي لهذا انا في حاجة إلى هذه التوضيحات ...

- لاتعتذري ... لا داعي لذلك فانا معجب تماما بسرعة تفهمك للامور...

- ولكن ماذا يجب ان نفعل الآن ؟

- انت لاشيء ... غير التحليق بالطائرة .

واجابته بلهجة جافة :

- انا هنا من اجل ذلك ... ولكن انت ؟

وقال بلهجة ساخرة :

- أيهمك ذلك بالفعل ؟

شعرت "چينا" انها لم تعد قادرة على السيطرة على اعصابها... إن هذا الرجل تنقصه البساطة وصاحت وقد استبدبها الانفعال :

- أصغ إليّ ... إنني هنا في نهاية العالم مع رجل اقاسمه غرفته ونحن ننتظر معا وقوع زلزال ... سيقع عما قريب ولكننا نجهل متى .. ونفس هذا الرجل يريد ان يحدث انفجارا في الوادي ليختبر اجهزته قبل حدوث الكارثة... الاترى انه يجب ان اهتم بما تعمل في مثل هذه الظروف؟

وصمتت وقد تلاحقت انفاسها : إنها لم تعترف له ان ما يبديه الآن من تباعد يسبب لها الما كبيرا .

وقال وهو ينفجر ضاحكا :

- أوه ! يا "چينا" ... يالك من امراة فريدة !

وسالته بحدة:

- ماذا يعني ذلك ؟

- أؤكد لك انه لادا عي للقلق ...

كان صوته رقيقا حنونا وانحنى صوبها ووضع يده فوق يدها . كانت تعلم ان هذه الحركة لاتهدف لغير تهدئتها ولكنها مع ذلك شعرت بقلبها ينبض بشدة بين ضلوعها ... وراحت تامل الا يلاحظ هو شيئا .

وسالها فجاة :

- هل قطعنا مسافة العشرين كيلو مترا ؟

- بعد دقيقتين من الآن .

- سالخص لك ما ساقوم به في كلمتين : لن يستغرق العمل اكثر من نصف الساعة ...



ساحفر حفرة اضع بداخلها المفرقعات وسيتوقف الزمن اللازم لذلك على طبيعة الأرض ثم سابتعد لمسافة مائة متر تقريبا واحتمي وراء الصخور ثم اقوم بتفجير المفرقعات. إنها موجودة في هذه العلبة وراءك ... وينتهي العمل ولن يبقى امامي غير اختبار الأجهزة إذا كنت تعتقدين ان مسافة المائة متر غير كافية بالنسبة لك يمكنك ان تختاري مكانا ابعد من ذلك .

واحتجت "چينا" وهي تتظاهر بالشجاعة :

- لا .. لا ... هانحن قد وصلنا .. إن مؤشر السرعة يفيد اننا قطعنا العشرين كيلو مترا. كانت الأرض من تحتهما مليئة بالصخور السوداء المغطاة بطبقة من الجليد .

- اسفة يا "ديفيد" لا استطيع الهبوط في هذه البقعة من الأرض.

- لا عليك ... اقتربي بالطائرة من الأرض ودعيني انزل انا ومعداتي ثم ابتعدي انت بالطائرة. وحاولت "چينا" ان تبقى بالطائرة ثابتة على بعد عدة امتار من الأرض ... ولم تكن بالمهمة السهلة.. كانت ايضا تشعر بالقلق من اجل "ديفيد" : هل سيتوخى الحذر وهو يتعامل مع المتفجرات ؟ ... وماذا لو وقع له حادث ما ؟ ... أو ....

لا ... لاشيء يمكن ان يحدث لهذا الرجل ... لقد كان قويا بما فيه الكفاية كما انه حاد الذكاء ... ثم ... إنها تحبه ... لقد بدات تدرك ذلك الآن ... إنها تحس تجاهه بمشاعر صادقة حقيقية ... وهي تهتم بمصيره اكثر من اهتمامها بمصيرها هي .

راحت ترقبه وهو يعمل على مسافة مائة متر تقريبا .. كان قد حفر حفرة دفن فيها الديناميت ، وهو يبتعد الآن حاملا في يديه آلة التفجير .. كان يسير بخطوات ثابتة وكان شعره الاسود يتراقص في الهواء ...

ودوى فجاة صوت الانفجار واهتزت الطائرة بشدة ولكن سرعان

ماعاد الهدوء من جديد ... وراح "ديفيد" وهو يلوح لها بذراعه ... لقد انتهت المهمة بسلام .

وراته وهو يجمع معداته ويتجه بخطوات سريعة صوب الطائرة وما كادت تلتقطه حتى ارتفعت ببطء واتجهت شرقا صوب "اشلان".

واحست بنشوة كبيره للتجربة التي عاشتها معه ... وخيل إليها انها بدأت تفهم هذا الرجل بعمق اكثر : إنه مثلا في هذه اللحظه يريد ان يعود إلى القاعده باسرع وقت ممكن ليختبر اجهزة التسجيل .

ولم تخطئ "چينا" فما كادت الطائرة تستقر علي الأرض حتى هبط منها "ديفيد" واسرع مهرولا صوب المبنى .

عندما لحقت به فيما بعد وجدته جالسا في المطبخ امام الة التسجيل المتصلة باجهزة الاستشعار التي اقامها.. يحدق باهتمام في الشريط المغناطيسي المليء بما يشبه الخطوط البيانية المتباينة الارتفاع والانخفاض ، وكان يدون في مفكرة صغيرة بعض الكلمات والكثير من الأرقام .

وجلست "چينا" على مقعد خلفه وراحت تنظر إليه في صمت وهو يعمل : كانت تشعر بالإعجاب الشديد لقدرة هذا الرجل على التركيز .

وقال "ديفيد" وهو يلتفت وراءه :

- تعالي ... اجلسي إلى جانبي .

واقتربت منه ولف ذراعه فوق كتفيها بينما راح يشير باصبعه إلى الشريط المغناطيسي .

- هل ترين هذه الخطوط ذات القمم المرتفعة عن غيرها ... إنها تسجل قوة الانفجار. لقد عملت كل الاجهزة التي زرعناها هناك في الوادي بكفاءة تامة .

- اهنئك يا "ديفيد" ...

خيل لـ"چينا" أنها تعيش في حلم : إن ذراعه الذي يحيط بكتفيها



يوجد بينهما نوعاً من التقارب الحميم ... وكانت تشعر بالسعادة لأنها شاركت في نجاحه.

وقال برقة:

- إنه عمل جماعي.. وشكرا.

قال ذلك وهو ينظر إليها بعينين تبرقان بالبهجة ثم استطرد قائلا:

- الآن نحن مستعدان للقيام بعمل ... اكثر جدية ...



www.elmanga.com

# الفصل السادس

شعرت "چينا" بالقلق من جديد : ها هو ذا ينطق مرة اخرى بكلمات ذات معنى مزدوج ... إن هذه الجمله يمكن ان تشير ، ببساطة إلى الهزة الأرضية المتوقعة ، ولكنها يمكن ايضا ان تشير إلى موقفهما الشخصي ...

من الأفضل لها الاتفكر في الافتراض الثاني ... فـ"ديفيد" رجل متزوج ... وهو ملك لامراة اخرى .

وقالت المراة الشابة بلهجة محايدة :

- انا لست على عجلة من أمري .

وسالها وهو يداعب ذقنها باصبعه :

- لا ؟

وارتسمت ابتسامة على شفتي "ديفيد" وراح يحدق فيها وكانه يريد قراءة افكارها وقال اخيرا :

- اتصور انك تريدين العودة إلى ... الحياة الطبيعية .

الحياة الطبيعية ؟ هل كانت حياتها طبيعية حتى الآن ؟ ... قبل ان



تلتقي بهذا الرجل الساحر الغامض ؟ ... لا ... إن حياتها تبدو لها باهتة الآن وإن الحياة الحقيقية كان يمكن أن تكون تلك التي تعيشها معه .. لو لم يكن متزوجا ...

كانت افكار "چينا" تنتهي دائما عند هذه الحقيقة الأليمة والتي لاتستطيع حيالها شيئا... الحل الوحيد ؟ ... هو الهرب من غير شك حتى تتفادى الآلام ... ولكن هناك تلك المهمة التي يجب عليها إنجازها.. إنها لا تستطيع ان تغادر "ديفيد" قبل ان يتم اعماله .

كان يمكنها أن تبتعد عنه ... عن هذا الذراع الملتف حول كتفيها... ولكنها كانت غير قادرة على الحركة .. إنها تشعر وهي بالقرب منه بالسعادة.. وبالخوف ايضا .. إنها تفوز بالحياة .. الحياة الحقيقية .

وسالها فجاة :

- هل ينتظرك احد في إنجلترا ؟

القى عليها هذا السؤال وكانه وليد الصدفة ... ولكنها كانت متيقنة انه لم يكن كذلك ؟ ترى بماذا يمكن أن تجيبه ؟

الحكمة تدعوها ان تلجا للكذب ... هكذا يمكنها أن تضع حدا للعبة اصبحت خطيرة. إن علاقتهما ليس لها مستقبل .. طالما انه ملك لامراة اخرى .. لماذا إذن لاتدعه يعتقد انها مثله ... ليست حرة ؟

ولكنها سمعت نفسها تقول بصوت مبحوح :

- والدي فقط .. ولكني واثقة ان "الهيلوكوبتر" تهمه اكثر مني .

- ولكن .. ميكانيكي الصيانة ؟

كانت نبرة صوته عميقة جادة :

- هل تقصد "جامي" ؟

وتقلصت عضلات وجهه وكانه يبذل مجهودا للسيطرة على عواطفه.

- اليس هو ... صديقك ؟

وخيل لـ"چينا" انها اخطات السمع وحاولت ان تبتعد عنه تحت وقع المفاجاة ولكنه ظل ممسكا بها بشدة .

- اجيبي !

- ارجوك ... إن "جامي" رجل متزوج ... وهو يحب زوجته وانا صديقة الاثنين وبدا عليه الـ - ج كانه طفل بوغت وهو يرتكب عملا خاطئا .

واضافت :

- والآن ... اتركني .

- انا.. انا..

كان يبدو مضطربا .. خجولا ورفع ذراعه من فوق كتفيها ببطء .

- كنت اظن ان هناك ... شيئا ما بينك وبينه .

وقالت بجفاء :

- الصداقة ولاشيء اكثر من ذلك .

وقال وقد بدا عليه التفكير :

- إن الصداقة بين الرجل والمراة في بلدي شيء نادر .

وقالت "چينا" بنفس اللهجة الجافة :

- هذا لايثير دهشتي .

واستطرد "ديفيد" بعد لحظة صمت :

- إن غالبية النساء التركيات مازلن يخضعن للرجال.. لآبائهن ثم لإخوتهن الذكور ثم اخيرا لازواجهن ... التقاليد تعتبر ذلك نوعا من الحماية للجنس الضعيف .

- كيف تسمي النساء ذلك ؟

لم تحاول ان تخفي بغضها لمثل هذه الافكار ولكن عندما رفع "ديفيد" راسه فرات الصراحة في عينيه السوداوين فزال عنها غضبها ... إنها لاتستطيع ان تنحي باللائمة على هذا الرجل .

واضاف :

- انا لا اوافق على هذه الطريقة في المعاملة وانت تعرفين ذلك ولكنها النظرة السائدة لدى غالبية الاتراك ... إن الناس في بلدي يتزوجون في سن مبكرة .. وعندما يكون للمرء زوجة فيجب الا يكون للنساء الاخريات ... اي وجود بالنسبة له ...



كان قد اتجه إلى النافذة وراح ينظر في الخارج .

واستطرد يقول بعد فترة صمت طويلة وكانه يحدث نفسه :

- إن الامر مختلف في الغرب ، فالنساء يحاولن التسلط والسيطرة ويعتبرن الرجال اعداء منافسين ... وهذا مالا استطيع فهمه .. إنهن يتحدثن عن الحرية والمساواة ولايلتفتن إلى طبيعة جنسهن .. يسلكن نفس سلوك الرجال .. لايوجد هناك رابح في الحرب بين الجنسين ... و...

وصمت برهة ولم تجرؤ "چينا" ان تقول شيئا ...

وتمتم وهو ينظر إليها:

في الحقيقة انا لا.. اعرف ذلك النوع من الصداقة الذي تتحدثين عنه بالنسبة للميكانيكي "جامي"...

- "ديفيد".. اود ان اعرف فيما كنت تفكر.. اعني بالنسبة لـ"جامي"...

ولمعت عينا "ديفيد" ببريق غامض.

- الا تخمنين ذلك؟

- اخمن ماذا؟

- لا.. لا شيء.. ربما ارى اشياء لا وجود لها في الواقع.

وتوقف عن الكلام وهو يحدق فيها.

- اعتقد...

وصمت مرة اخرى وادركت "چينا" انه لن يقول اكثرمما قال...

وبالفعل غير دفة الحديث قائلا :

- لقد حان الوقت لإعداد الطعام .

واخفت خيبة املها وهي تتظاهر بالنظر إلى ساعة يدها .

كانت "چينا" ترتدي "روب دي شامبر" ازرق اللون فوق "بيجامتها" بينما كانت قد انتهت من تجفيف شعرها ، وكانت بصدد إعداد قدح من القهوة عندما خرج "ديفيد" من الحمام .

- هل تريد قليلا من القهوة ؟

- نعم ... هل يمكنني مساعدتك ؟



www.elromancia.com

- لا ... لاداعي لذلك .

وراحت تنظر إليه بطرف عينها : كان يتخلل شعره باصابعه محاولا إرجاعه إلى الوراء .

- لو رانا احد من النافذة الآن لاعتقد انه امام زوجين سعيدين... انت تقومين بإعداد القهوة وانا انظر إليك ... كلانا قد خرج لتوه من الحمام استعدادا للذهاب إلي النوم ...

والقى عليها نظرة ماكرة وتناول قدح القهوة وامسكت "چينا" بقدحها بيد ترتعش ، اهو الخوف ؟ الامل ؟ ام الاثنان معا؟

وقالت:

- هذا يدل على أن المظاهر كثيرا ما تكون خاطئة .

- كيف ذلك ؟

واضح انه يتحداها وهو يحاول استئناف الحديث الذي بداه قبل تناول الطعام وجلس في مواجهتها ووضع راسه بين كفيه منتظرا جوابها .

- اولا نحن في مكان عمل ولسنا في المنزل ... ثم إننا نعتبر غرباء فاي طيار آخر من شركة "برادي" كان يمكن ان يعين للقيام بهذه المهمة إنني هنا لمجرد الصدفة البحتة ... لنزوة من نزوات القدر لا أكثر .

- صدفة ... قدر ... سمي ذلك ماشئت يا"چينا" ... ولكن انت التي توجدين هنا الآن ... انت وليس اي شخص اخر .

وقالت المراة الشابة فيما بينها وبين نفسها : "ليس للقدر نزوات فقط... ولكنه ايضا لاعب ماكر! ! ... الم يكن من الافضل لهما ألا يلتقيا ابدا؟

كانت تريد ان تجيب بالإيجاب ولكنها لم تستطع ... لقد عرفت الكثير عن نفسها منذ يومين لقد تغيرت حياتها تماما ... وكانها ولدت من جديد ... لقد اكتشفت الحب ... وعلي الرغم من انها لاترى نهاية سعيدة لهذه المغامرة فإنها لاتاسف على خوضها .

قالت :



- لقد اساء القدر الاختيار بإرسالي إلى هنا ... كان يجب ان يختار شخصا اكثر خبرة بالاعمال المنزلية.

- هذا خطا يا"چينا" ، إن الرجال لايتزوجون النساء لخبرتهن بالاعمال المنزلية.

وخفضت "چينا" عينيها وشربت جرعة من قهوتها وقالت بصوت محايد:

- ماهو برنامج الغد ؟

- سنذهب إلى القرية القريبة التي تقع على بعد عشرة كيلو مترات جنوب القاعدة .

- ولماذا بالضبط ؟

- عندما اقيمت القاعدة هنا حدثت بعض المشاكل مع سكان هذه القرية ، لقد اعتبروا العلماء وكانهم غزاة وهو امر لايخلو من الصدق على وجه ما. إنهم يعيشون على رعاية الأغنام ، والاعشاب والحشائش نادرة في هذه المناطق ولهذا فهم يعتبرون الجبل كله مكانا لنشاطهم وعملهم وهم يخشون من إقامة قواعد اخرى تقلص من الرقعة التي يزاولون فيها نشاطهم .

- ماذا فعلوا ؟

- راحوا يسرقون كل ما تقع عليه ايديهم .

وقالت "چينا" :

لقد بدات افهم ... لهذا وضعتم تلك الشباك على النوافذ ... ولكن من استطاع أن يهدئ من حميتهم .

- انا .

- انت ؟

- ذهبت لمقابلة رئيس القرية ... الرجل الذي يملك كل السلطات هنا، ولما كانت القرى تقع على مسافات بعيده عن بعضها فالاتصالات تكاد تكون معدومة بينها ، وكل جماعة تعيش في شبه عزلة ... ولاتصل قوانين "اسطنبول" إلى هنا ، فالقرويون لهم نظامهم الاجتماعي

والسياسي الخاص بهم وهو نظام توارثوه من الأجداد.

- لابد أن معرفتك للغتهم وعاداتهم قد ساعدتك كثيرا .

- نعم ... ولكن ليس كما تتصورين . إنك عندما تتعاملين مع أناس يقدسون الشجاعة ويفضون منازعاتهم بالقوة، لايصبح الكلام سلاحا فعالا ... إن القوة الغاشمة هي خير سلاح ...

وسألته "جينا" وقد تملكها الفضول :

- ماذا فعلت إذن ؟

- إن المصارعة هي الرياضة القومية التركية ، ولقد كنت في شبابي بطلا محليا لهذه الرياضة ، وقد اختار رئيس القرية اقوى ثلاثة رجال عنده و ... تصارعنا ، ولقد هزمت اثنين ولم أشأ أن اهدر كرامة الرئيس وتركت نفسي انهزم امام الثالث ووعدني بان يكف رجاله ايديهم عن القاعدة وقد شكرته بإهدائه ساعة يد وجهاز ترانزيستور" .

ولقد اقاموا لي حفلا وقضينا الليلة نشرب ونرقص وسألت "جينا" :

- لماذا نذهب إذن إلى هذه القرية ؟

- لكي اشرح لهم معنى الانفجار الذي حدث بعد ظهر اليوم ولكي احذرهم من الزلزال وقالت في حماس :

- سيكون إذن يوما مشحونا بالعمل وعليّ ان اذهب الآن لاخلد للنوم ولم تستطع ان تتقدم خطوة واحدة فقد اقترب منها وجذبها إليه .

وراحت تقاومه ... وتقاوم نفسها في نفس الوقت .. كان يلتهمها بنظراته وهو يتمتم بصوت لايكاد يسمع :

- لماذا يا "جينا" ؟ لماذا نناضل ضد الحقيقة ؟ ان كلاً منا ... يحب الآخر وانت تعلمين ذلك .

وقالت بصوت مبحوح :

- نعم ..

- لماذا المقاومة إذن ؟ ... إننا كوجهي المغناطيس ...

- ربما ... ولكن هذا مستحيل .



- ولكن لماذا ؟ هناك الكثير من الأشياء تجمع بيننا ...

وصاحت بمرارة :

- اوه ! نعم ... ولكن هناك فرقاً له اهمية قصوى ارى انه لايزعجك ولكنه حيوي بالنسبة لي ... "ديفيد" انا لا اريد ... لااستطيع تحمل المواقف الخاطئة ...

وتركها تفلت من بين ذراعيه وتمتم قائلا :

- اسف ... اسف جدا يا "جينا" .

وادركت انه في حالة غضب ولكن ماذا كان في مقدورها ان تفعل غير ذلك ؟ لقد كان متزوجا ... لقد قال لها ذلك بنفسه .. لماذا إذن خوض مغامرة لاغد لها ؟

الا يقيم وزنا كبيرا للزواج ؟ لقد فهمت العكس عندما راح يتحدث عن تقاليد البلاد وقالت :

- "ديفيد" .. حاول ان تفهمني ...

وقاطعها في غير حدة :

- "جينا" ... كنت اظن ان هناك علاقة مميزة خاصة تربط بيننا ... هل انا على خطا في ظني هذا ؟

- لا ... ولكننا سوف نفترق ... و

- "جينا" ... من فضلك إنني ...

ولكنها رفضت ان تسمعه .

- يجب ان تعرف انني ابغض المغامرات ... انت تعرف انه من غير الممكن ان تكون بيننا علاقة دائمة ...

وجرت صوب الحمام لتخفي الدموع التي بدات تسيل فوق خديها وعندما عادت لم تجد "ديفيد" ...

وذهبت إلى سريرها وحاولت ان تستسلم للنوم ... ...

# الفصل السابع

امضت المراة الشابة ليلة سيئة مليئة بالكوابيس ... لقد ظهر لها "ديفيد" في احلامها وراح يتهمها بانها ارتكبت خطا كبيرا وانه لايريد ان يراها بعد الآن ... وانه يحتقرها ...

ولكنها كانت مقتنعة ان مافعلته هو الصواب .. فمن غير المعقول ان تعيش معه مغامرة تستمر مدة بقائهما في هذا المكان ثم تنتهي.

وجلست في سريرها وراحت تصيخ السمع : لاشيء غير السكون المطبق ، ونهضت واتجهت إلى الغرفة المجاورة : إن سرير "ديفيد" على حاله ... إنه إذا لم يمض الليلة هنا ... ولكنها ما كادت تتجه إلى المطبخ حتى راته يغط في نومه وهو جالس على احد المقاعد ملقيا بقدميه على مقعد اخر ... رات حلقات سوداء تحيط بعينيه : لابد انه نام في ساعه متاخرة وامضى معظم الليل مسهدا ...

ولاول مرة وجدته هشا ضعيفا وهو مستغرق في نومه وراحت تفكر: لو انها اطاعته لضمها إلى صدره وغطى وجهها بالقبلات...



وفتح عينيه فجاة ولم يعد نفس الرجل : لقد تلاشى ضعفه واستكانته !

وسالها بصوت واهن :

- هل كل شيء على مايرام ؟

- نعم ... وانت ؟

في خير حال.

- لماذا نمت هنا ؟

- كان علي أن أنجز بعض الأعمال ، لقد حدثت هزتان ارضيتان ضعيفتان هذه الليلة. اود ان اذهب إلي القرية قبل الظهر ... هل انت مستعدة .

- نعم .

- هناك بعض الاشياء يجب ان اقوم بها قبل ذلك.

- هل تريد ان ساعدك ؟

- لا ... شكرا ... لقد تحدثت عن ربط الطائرة باحد العواميد الاسمنتية في الخارج ..

- اعتقد انها فكرة صائبة بعد هزات الليلة الماضية ...

لم يخف على "جينا" ما كان يرمي إليه : إنه لايريد ان يراها طوال فترة الصباح ويدعوها للقيام بعمل خارج المنزل ... لقد عبر عن ذلك بادب جم لتظل علاقتها المهنية في خير وضع ممكن. ومع ذلك خيل لـ"جينا" ان هناك شيئا اخر في سلوكه المتباعد ... ربما المرارة ... نوع من خيبة الامل ... ولكنها لم تستطع ان تلوم نفسها .. فلو لم يكن متزوجا لاختلف الامر بينهما ولكن طالما ان هذا هو الوضع ... ...

كانت القرية تقع في حضن الجبل ، وكانت الطرقات بين المنازل رطبة موحلة وكان الدجاج يبحث عن طعامه في كل مكان . وكان الشبان يقومون برعي الأغنام عند المشارف الخارجية للقرية .

وما كادت الطائرة "الهيلوكوبتر" تهبط إلى الأرض حتى بدات الكلاب، التي كان يبدو انها نائمة ، تركض هنا وهناك وهي لاتكف عن النباح ،



www.elromancia.com

وظهرت بعض الوجوه في نوافذ المنازل . ووقفت النسوة على عتبات البيوت بينما راح الرجال يتدفقون من مبنى واحد يقع في وسط القرية، اكبر من بقية المنازل

وقال "ديفيد":

- إنه "الكهف" وهو يوجد في جميع القرى ويمضي فيه الرجال جل وقتهم في فصل الشتاء يلعبون الورق ويشربون القهوة وهم يتحدثون.

واستطرد وهو يقفز إلى الارض

- إذا فضلت العودة إلى "اشلان" واللحاق بي بعد غروب الشمس فانت حرة.

وتمتمت المرأة الشابة :

- لا ... افضل البقاء معك.

- ستكونين هدفا لحب استطلاع جميع اهل القرية.

- لا اهمية لذلك

- إن احداً هنا لايتحدث الإنجليزية وسوف تشعرين بالملل

- الن تترجم لي ما يقولون ؟

- إن النساء لايدخلن "الكهف" حيث تتم جميع الأحاديث.

- سوف اتصرف بمعرفتي . لكن لماذا تصر على عودتي إلى القاعدة ؟

- ولماذا تصرين انت على البقاء هنا ؟

وراح يحدق فيها بغضب

+ لكي تكون لك ذكريات من غير شك تتحسينها على اصدقائك

وقاطعته قائلة :

- كفى ... انت تعلم ان هذا غير صحيح.

ولكنه كان قد اغلق باب الطائرة بعنف.

كان هناك رجل ابيض الشعر له شارب طويل متهدل على شفتيه يتقدم ، بعظمة وخيلاء ، صوب الطائره وكان بقية أهل القريه يكونون حلقة من خلفه وحياه "ديفيد" وضمه الرجل إلى صدره.

وقالت "جينا" لنفسها : "لابد انه رئيس القرية" ونزلت من الطائرة



ولحقت برفيقها ... ترى كيف يجب ان يكون سلوكها؟ واخيرا مدت يدها إلى الرئيس وهي تبتسم ابتسامة عريضة وتوقف هذا الاخير عن الحديث وصاح "ديفيد" وهو يمسك بيدها :

- لا ... هل انت مجنونة ام ماذا ؟

- احاول فقط ان اكون مهذبة .

- في إنجلترا نعم ... انا هنا في الجبال التركية فلا ... والآن التزمي الهدوء وإلا طلبت منك العودة إلى الطائرة.

وراح يخاطب اهل القرية باللغة التركية.

لاحظت "جينا" فجاة ان النسوة رحن يرقبنها باهتمام من تحت نقابهن ويتحدثن عنها.

كانت تسمع حديثهن بوضوح وكذلك ضحكاتهن : لابد انهن يقمن بانتقادها وشعرت بالضيق والحرج وازداد لديها هذا الإحساس عندما لاحظت ان الرجال ايضا يحدقون إليها طويلا... إن "ديفيد" لم يكذب إذن.

- "جينا" ؟

- نعم .

كان وجه "ديفيد" جامدا لايعبر عن شيء ولكن كان هناك بريق غامض يلمع في عينيه

- يريد الرئيس ان يعرف إذا كنت زوجتي ام لا ... بماذا اجيبه ؟

- الحقيقة ... فانا لست زوجتك .

- حقيقة ؟ ان ذلك يمكن ان يسهل لنا الامور ... و

- انا لم اختف ابدا وراء رجل ولا اريد ان افعل ذلك الآن .

قالت ذلك وهي ترفع راسها في فخر

واستطردت قائلة :

- قل له الحقيقة .

- كما تريدين

وتحول صوب رئيس القرية واسر له ببعض الكلمات.



www.elromancia.com

وفي الحال ارتفعت اصوات النسوة اكثر فاكثر .

- ماذا حدث ؟ ماذا يقلن ؟

قالت "جينا" ذلك وهي تمسك بذراع "ديفيد".

واجابها بحدة :

- لاأهمية لذلك .

- قل لي ...

- حسنا مادمت تصرين على ذلك : المراة التي تعيش تحت سقف واحد مع رجل بدون ان تكون قريبته او زوجته ... هي امراة ساقطة .

- يجب ان تخبرهن بالحقيقة ... إنه لاشيء هناك البتة بيني وبينك .

- ليس لهذا اية اهمية طالما اننا نعيش تحت سقف واحد .

- لا ... إن الأمر ليس كما يتخيلن .

وقال بصوت ماكر :

- هل تظنين حقا انني استطيع ان اقنعهن بذلك ؟

كانت تريد ان تحتج وتقول له بوضوح حقيقة مشاعرها تجاهه وتفسر سلوكها معه بالأمس ولكنها ادركت ان الوقت غير مناسب .

- اما انت فتعتقد ، من غير شك ، ان شرفك لم يمسسه سوء .

- نحن هنا في دنيا الرجال يا"جينا" ....

- لقد سبق وقلت لي ذلك ... حسنا سأذهب للتجول . لقد احضرت معي آلة التصوير لا اريد ان اسبب إزعاجا اكثر من ذلك لهؤلاء القوم .

- لا تبتعدي كثيرا .

- انا لست طفلة يا"ديفيد".

- ولكنك لا تحملين سلاحا ، هناك ذئاب كثيرة في هذه الجبال، إن الرعاة لايبتعدون اكثر من كيلو مترين من المباني الماهولة إلا ومعهم سلاحهم .

- اعلم انك لاتريد ان تفقد قائد طائرتك !

حاولت ان تجرحه بهذه الكلمات ..... تجعله يدفع ثمن الآلام التي يسببها لها .



وقال بلهجة باردة:

- حسن جدا ...

وابتعدت "جينا" وعندما شعرت بالتعب يدب في أوصالها القت نظرة على ساعة يدها :

لقد سارت لمدة ساعة تقريبا وربما كان من الأفضل لها الآن ان تعود ادراجها خاصة وان السحب السوداء الداكنة بدات تنتشر عند الأفق .

إن الطقس يتغير في هذه البقاع بسرعة مذهلة : ففي بداية فترة ما بعد الظهر كانت الشمس ساطعة وكان الجو جافاً خالياً من الرطوبة . اما الآن فالسماء مغطاة بالسحب تنبئ بقرب هطول امطار غزيرة ...

ولهذا قفلت المراة الشابة راجعة وتوقفت لحظة فوق ربوة عالية وراحت ترقب ما يجري في الوادي.. كان الرجال يمتطون ظهور جيادهم العربية الأصيلة . وكان كل فارس منهم يمسك سرج الجواد بيد ويمسك حربة مدببة بيده الأخرى يلوح بها وهو يطلق صرخات حادة وحشية .

ولفت نظرها احد هؤلاء الفرسان : كان اطول قامة واسرع من الآخرين لاتكاد حوافر حصانه تمس الأرض ... واحست بقلبها ينبض بشدة بين ضلوعها .

وتمتمت :

- "ديفيد" .

وتذكرت حديثها عن كيفية فض النزاعات في هذه البلاد .

إنها لم تعرف هذا الرجل إلا من فترة قصيرة ولكنها تحبه ... لقد اصبحت واثقة من ذلك الآن ... ... هناك رباط يجمع بينهما... رباط قوي لايمكن أن يقطع حتى إذا حاولت الهرب منه .

عندما اخذت طريقها صوب الطائرة سمعت ضجيجا استحوذ على اهتمامها ، فتوقفت عن المسير وادارت راسها وشاهدت ثلاثة رجال يحدقون فيها وهم وقوف وراء صخرة ضخمة . وبدون تفكير ابتسمت لهم ابتسامة خفيفة ، وكان ذلك خطا منها لايغتفر ! قد يكون ذلك نوع

من الأدب وحسن الخلق في إنجلترا ولكنه ليس كذلك هنا ... وتبادل الرجال النظرات وأسرعوا ليقطعوا عليها الطريق ... وأدركت "جينا" أنها معرضة لخطر داهم.

ماذا يجب عليها أن تفعل ؟ استدارت يمينا واستمرت في سيرها لكي تثبت لهم أنها لاتعيرهم أدنى اهتمام ... واعتقدت أنهم سوف يتركونها لشأنها.

عاهي ذي تخطو للمرة الثانية ... فبينما ظل أحدهم واقفاً ليسد عليها طريقها.. انحرف الآخران بدورهما صوب اليمين

شعرت "جينا" بقطرات العرق البارد تنصبب على جبينها ، ووجه لها أحدهما ... أكبرهم سنا عدة كلمات من بين أسنانه التي صبغها الطباق بلون أصفر قاتم ... وراح الآخران يضحكان ... ووقفت المرأة الشابة فجأة ثم هزت رأسها بشده علامة الرفض ، إنها لم تفهم ما قاله لها هذا الرجل ولكنها كانت تظن أنها أدركت مقصده .... وأمام رد فعلها هذا علت ضحكات الرجال الثلاثة.

وأحست "جينا" بالرعب يجتاحها وجمعت شتات شجاعتها وأطلقت ساقيها للريح.. كانت تريد أن تصرخ .... تستغيث ولكنها أدركت أنه لا جدوى من وراء ذلك ... فمازال "ديفيد" من غير شك ينازل الفرسان الأتراك ... ولن يسمعها لهذا يجب أن تدخر قواها وتستمر في العدو.

ولم تتوقف إلا عندما رأت جوادا يمتطيه فارس يعدو صوبها ... إنه "ديفيد" ...

ولم تعد تخشى شيئا الآن.

واقترب منها الفالم الشاب وانحنى صوبها وأحاط خصرها بذراعه ورفعها ليجلسها أمامه على ظهر الجواد.

وقال بحدة:

- لاتخافي ... فكل شيء على مايرام الآن.

كان جسدها كله ينتفض وانهالت الدموع من عينيها

- اهدئي ... لاداعي للخوف الآن.



واوقف الجواد وارغمها على النظرإليه وقال بنفاد صبر :

- لماذا ذهبت بعيدا هكذا ؟ إن القوم هنا لايمكنهم أن يفهموا أن تتجول امراة بمفردها في هذه البقاع .. ولايرون في ذلك غير نوع من التحدي والإثارة ... وانت تعلمين ذلك.

- كنت اعتقد انهم يقومون بحماية "الجنس الضعيف" كما قلت لي.

- إن المراة التي ترتدي زي الرجال وتمتهن مهنتهم لا تكون موضع احترامهم وخاصة عندما تتكلم قبل أن يوجه إليها الحديث...

وخفضت "جينا" عينيها :

- انت على حق من غير شك ... هل سنرحل قريبا ؟

- لا ليس بعد.

وسالت "جينا" وقد استبد بها القلق لقضاء ساعة اخرى في هذا المكان.

- ولكن لماذا ؟

- لان ذلك يتناقض مع قوانين الضيافة ؟

- وهل ما حدث هو من قوانين الضيافة؟

- لقد نلت ما تستحقين.

وتمتمت "جينا" :

- ماذا ... ماذا تقصد بقولك هذا ؟

- إذا كان رئيس القرية اعتقد اننا متزوجان لنلت كل الاحترام والتقدير منه ومن عشيرته.. كان نفس الرجال الذين تبعوك سيقومون بحمايتك بارواحهم إذا دعت الضرورة ولكنك رفضت حمايتي.

وانزلها من فوق ظهر الجواد : كان الرجال الثلاثة الذين روعوها قد اختفوا بين احضان الجبال.

- "ديفيد" . اعتقد انه يجب علينا أن نسارع بالرحيل ... فالجو يتغير بسرعة. انظر إلى هذه السحب السوداء التي تاتي من جهة الجنوب ... بما كانت تنبئ بقرب سقوط الجليد ... سانتظرك في الطائرة.

- نحن لانبعد باكثر من عشرة كيلو مترات من القاعدة والوقت امامنا

كبير.

- ليس تماما لانني انوي الليلة الذهاب إلى "فان".

لقد راودتها في هذه اللحظة فكرة ترك "ديفيد" ... سوف تغادر هذه الجبال ... وهذا الرجل وسيكون ذلك افضل لكليهما.

وقال في دهشة :

- ماذا تريدين أن تقولي ؟

- ساحملك إلى "اشلان" ثم ارحل انا إلى "فان".

- الليلة ؟

- واومات المراة الشابة براسها علامة الإيجاب : كم تود ألا يدرك مدى الصعوبة التي واجهتها لاتخاذ هذا القرار ... إنها لم تعد تريد غير الهدوء ... والوحدة وطائرتها ... رفيقتها الدائمة ... يجب ان تتعلم من جديد كيف تعيش كما كانت تفعل في الماضي... من اجل مهنتها وحدها ... وحتى إذالم يكن هذا سهلا فسوف تنجح في تحقيقه بالصبر والإرادة.

- لقد قررت الرحيل .. فانت لم تعد في حاجة إلى خدماتي . ساترك الطائرة في ورشة الصيانة في "فان" ليقوم "جامي" باللازم بشانها ... وساعود لنقلك إلى حيث تريد متى انتهيت من مهمتك.

- اه .... نعم ... "جامي" .... الصديق المخلص !

قال "ديفيد" ذلك بلهجة ساخرة ... وانفجر ضاحكا ...



# الفصل الثامن

تمت رحلة العودة إلى "اشلان" في صمت . كانت الرياح قوية تهز جنبات الطائرة وكانت المشاعر المتضاربة تعصف بـ"جينا" كما تعصف هبات الريح "بالهيلوكوبتر".

كان يجب ان تبرر سبب رحيلها ولكنها لم تجد الكلمات المناسبة لذلك . ثم هل كان هذا ضروريا حقا ؟ إن "ديفيد" يبدو ساهما متباعدا.

وقال عندما وصلا إلى القاعدة :

- يجب ان تاكلي شيئا قبل الرحيل.

واجابته المراة وهي تسرع إلى غرفتها لتحضير حاجياتها

- لا املك الوقت لذلك.

وعندما عادت إلى المطبخ وهي تحمل حقيبة السفر ناولها قدحا من القهوة .

- اشربي القهوة وهي ساخنة .. لقد جهزت لك ايضا بعض الشطائر يمكنك ان تتناوليها اثناء الرحلة.



www.elromancia.com

- لم يكن هذا ضروريا.

ونطق بعض الكلمات بالتركية وقد تملكه الغضب ثم قال :

- هل من الصعب عليك حقا قبول اي شيء مني ؟

وأرادت "چينا" ان تعتذر ولكنه لم يتح لها الفرصة :

- كنت سافعل ذلك لاي شخص غيرك ، ولهذا يجب الا تعتبري هذا نوعا من المعاملة المميزة ... والآن أسرعي الست في عجلة من امرك ؟

وشربت قهوتها جرعة واحدة.. كان كل شيء قد انتهى بينهما ... الا يحاول "ديفيد" ان يتخلص منها ليبقى بمفرده ؟

- هل من المناسب ان اعود بعد ثلاثة ايام ... فلنقل عند الظهر..؟

- نعم ... على كل حال لن اكون بعيدا إذا لم تجديني بالمنزل .

وادركت من نبرة صوته انه من الافضل لها ان ترحل في الحال .

وقال وهو يناولها الشطائر :

- لاتنسي ان تاكليها يا"چينا" ... وارجو ان تكوني حذرة فانا اراك مجهدة.

وقالت وهي تحدجه بنظراتها :

- شكرا .

وفجاة ، وبدون ان تتوقع راح يمسح خدها بظهر يده ، وارتعدت "چينا" ...

كانت حركته هذه مليئة بالرقة والحنان وكذلك بالالم الصامت لدرجة انها احست انه لم يعد في استطاعتها الرحيل .

وظلا فترة طويلة وجها لوجه وهما صامتان

وقال اخيرا :

- إذا كنت لاتريدين العودة ... فلا اهمية لذلك فيمكنني ان اطلب عن طريق الراديو حضور طائرة "هيلوكوبتر" عسكرية.

كان هذا اخر شيء توقعت ان تسمعه .



وقالت ببطء :

- هل تطردني ؟

- لا... فانت التي ترحلين ... إنني اترك لك فرصة للاختيار ....

إن العقد يرغمك على العودة ولكنك إن لم تفعلي فلن اتقدم باي شكوى.

إنه يعطيها فرصة للهرب ... للرحيل دون رجعة ... ولكن هذه الفكرة لم تخطر لها على بال ... فليس في استطاعتها الا تراه مرة اخرى ... حتى إذا كان ذلك هو الحل الذي يمليه العقل.

وتمتمت قائلة:

- سوف ... افكر في الامر .

- حسنا ...

وتبادلا النظرات مرة اخرى في صمت ، وفجاة احاطها "ديفيد" بذراعيه وتقابلت شفاههما في قبلة محمومة ... كان هذا العناق بمثابة صرخة صامتة.. صرخة ياس ... وتشبث كل منهما بالآخر.

رات "چينا" الدموع تتبلور وراء اهدابه وحول نظره بعيدا، وابعدها عنه بقسوة واسرع إلى الباب يفتحه وهو يقول:

- اذهبي ... في الحال.

بعد عدة لحظات كانت "چينا" تستعد للإقلاع وترددت للمرة الاخيرة قبل ان تدير المحرك : إنها تترك جزءا منها في هذا المنزل ولكن من الافضل ان تضع حدا لهذه المغامرة طالما انه متزوج من امراة اخرى فليس من حقها ان تامل في العيش معه.

واقلعت الطائرة اخيراً ... والقت نظرة صوب المبنى : لم يكن "ديفيد" واقفا على عتبة المنزل ولا وراء النافذة وقالت بصوت تخنقه الدموع

- وداعا ... ياحبيبي ... !

ولم تكد تمر خمس دقائق حتى بدات كرات الجليد تتساقط وتكون ما



www.elromancia.com

يشبه الستار امام عيني "جينا" ووجهت الطائرة مهتدية بالبوصلة ، صوب الغرب بعيدا عن الوادي ... ومبانيه الأرضية.

وما كادت تصل إلى منطقة اصبح الاتصال بالراديو فيها ممكنا حتى اتصلت بالمطار لإخبار "جامي" بقرب وصولها ... كانت في حاجة إليه ... في حاجة إلى صداقته ونصائحه ...

وهدأت الرياح عندما تركت "جينا" وراءها منطقة الجبال وظهرت شمس الربيع في كبد السماء . كانت بحيرة "فان" تلمع من تحتها وبدأت تهبط ببطء .

وابتدرها "جامي" وهما جالسان في استراحة المطار يشربان القهوة:

- ماذا حدث ؟ .... اريد الحقيقة ... هل هناك مشاكل بينك وبين "ديفيد هالمان" ؟

وخفضت عينيها :

- "جينا" ... اجيبي .

- لا ...

- إن طريقة نطقك بهذه الكلمة توحي بالعكس تماما.

وقالت وهي تتخلل شعرها باصابعها:

- إن الأمر معقد للغاية .

- الم يكن مهذبا معك ... إذا كان الأمر كذلك فسوف ...

وقاطعته "جينا" قائلة :

- لا ... ...

- ماذا تفعلين هنا إذن ؟ ... لقد كنت اتوقع حضورك بعد عشرة ايام على الاقل. هل هناك مشكلات بالنسبة للطائرة ؟

- لا .... ياليت الأمر كان كذلك .

- بحق السماء انا لا افهم شيئا ... قولي لي ماذا حدث ؟

قالت المراة وقد شعرت بالسعادة لوجودها مع صديق حقيقي .



- ساقول لك اولا شيئا سيثير دهشتك ... إن "ديفيد" يعتقد ان هناك شيئا بيني وبينك !.. إننا لسنا مجرد ... صديقين.

- اه !

- هل تصدق ذلك ؟ لا ادري كيف واتته هذه الفكرة.

- وماذا قلت له ؟

وراح "جامي" يحدق فيها بعينيه العسليتين وكانه مشدود إلى شفتيها .

- الحقيقة ... بكل تاكيد ... قلت له إننا صديقان وإنك متزوج ... وإنني احب "هيلين" كثيرا ... اليس هذا تلخيصاً دقيقا للوضع يا "جامي"؟

ولدهشتها لم يوافقها هذا الاخير الراي في الحال :

- إن كل شيء يتوقف على الزاوية التي ينظر منها المرء للموضوع.

- انا لا افهم.

وتمتمت المراة قائلة .

ورفع "جامي" راسه .. كانت هناك ابتسامة مريرة تتراقص على شفتيه :

- ليس "ديفيد هالمان" مغفلا يا "جينا" إن له عيني صقر ... إنه يخمن كل شيء من النظرة الأولى ... ولقد فهم كل شيء دون ان انبس انا ببنت شفة .

لقد قال لي ذلك هو نفسه ...

- قال ماذا ؟

وعض على شفتيه واستطرد قائلا :

- لقد عرف ما كنت احاول تجاهله منذ عدة سنوات ... لقد عرف... انني احبك يا "جينا" إنني احبك منذ اول يوم عملنا فيه معا... واعتقد انني ساحبك إلى يوم مماتي.



www.elromancia.com

ولما حاولت المراة ان تتكلم اشار لها بيده :

- لا ... لا تقولي شيئا ... دعيني اكمل حديثي . لقد عاهدت نفسي الا ابوح لك بشيء ... ولكن ما دمت قد بدات ... لقد كنت امل ان يجيء يوم... هناك "هيلين" بطبيعة الحال ... ولكني اعتقد انها كانت ستتفهم الوضع ... ولكنك لست لي يا "چينا" ... ولم تكوني ابدا لي ولن تكوني لي في المستقبل ... لقد ادركت ذلك في اللحظة التي دخل فيها "ديڤيد هالمان" في المطعم وطلب الحديث مع السيد "برادي" ... كان من الممكن ان استمر في حلمي المجنون قبل ذلك اما الآن فلا..

- "جامي"..

- صه.. انت تعرفين كل شيء الآن وليس هناك ما اضيفه.. لابد انك تموتين جوعاً.

- شكرا ... انا لا اشعر بالجوع لقد التهمت بعض الشطائر في الطائرة شطائر جهزها لها "ديڤيد" حتى وهو يعلم انها تطير لتلحق بـ"جامي" .... بذلك الرجل الذي يحبها .

وقال "جامي" محاولا قطع حبل الصمت المحرج بينهما :

- وهذه القاعدة ... كيف هي ؟

- إنها صغيرة جدا ... ولكنها مريحة .

لقد فهمت "چينا" الآن سلوك "ديڤيد" تجاهها : لابد انه كان من الصعب عليه ان يدرك انها تجهل كل شيء عن احاسيس مهندس الصيانة وقال "جامي" وهو يتظاهر بالهدوء :

- هل وقعت هزات ارضية اثناء وجودك هناك؟

- نعم ... ولكنها كانت ضعيفة .

- و"هالمان" ؟ ماذا ... حدث بينكما ؟

- إنه رجل غريب الاطوار لقد كان كل شيء طبيعيا اثناء العمل .. كانت المشاكل تبدا عندما ينتهي العمل .



- ماذا تقصدين بقولك هذا ؟

واكتفت "چينا" بان هزت كتفيها : إنها لن تستطيع ان تقول كل شيء لـ"جامي" بعد ما عرفته الآن ... سوف يكون تعيسا للغاية، لقد اصبحت هناك ، منذ اليوم ، هوة سحيقة بينهما .

- هناك جهلي اولا بالمهام المنزلية ، لقد صعب ذلك مشاركتنا في إنجاز العمل .

- حقا ... ؟ لقد كنت اعجب دائما بهذا الجانب فيك : رفضك للتقاليد.. وجود المراة التقليدي .

- اعتقد انني لم اعد اومن بالافكار الكبيرة الخاصة بدور المراة في الحياة .

- بسبب "هالمان" ؟

- جزئيا ...

وتنهد "جامي" قائلا :

- اه ! لقد وقعت في حب هذا الرجل

وتمتمت "چينا" بحزن :

- لافائدة من وراء ذلك .

وسال في دهشة :

- ولكن لماذا ؟

- لانه متزوج وانت تعرف ذلك جيدا

- ماذا تقولين ؟ انت تقصدين انه يزمع الزواج ...

- لا

وقال "جامي" :

- "ديڤيد هالمان" ليس متزوجا ... لقد توفيت زوجته .

وخيل لـ"چينا" انها ستفقد وعيها وقالت غير مصدقة ما سمعت:

- هل انت واثق من ذلك ؟ ... هل سمعت هذا أم هو نفسه الذي قاله

لك؟

- هو نفسه ...

- ولكن كيف ؟ ... ومتى ؟

- عشية رحيلك إلى "اشلان" ... في المطعم . الا تذكرين ؟ لقد نرحتنا وذهبت لتاوي إلى فراشك ولقد تحدثنا طويلا انا و"هالمان" ... وربما قلت له عن نفسي اكثر مما كنت اود ... إنه شخص ...

- يوحي بالثقة .

- هذا صحيح ... لقد حدثته حتى عن حادث "هيلين" وفي هذه اللحظة اخبرني بوفاة زوجته ... لقد حدث ذلك اثناء إجرائها لعملية جراحية .

وداهمت المراة الشابة احاسيس متضاربة : هل يجب عليها ان تبتهج لان "ديفيد" رجل حر ؟ ... لابد انه تالم كثيرا لهذه الوفاة المفاجئة... وربما مازال يتالم حتى الآن ... الم يقل لها في "اشلان" إنه متزوج ؟

لابد انه مازال مرتبطاً جدا بزوجته ...

وقال "جامي" وهو ينهض :

- سامر عليك غدا بالفندق .

- لا ... لاداعي لذلك ... فلنمكث قليلا .

- ولكنك تبدين مرهقة في حاجة إلى الراحة وفي رايي يجب ان تاكلي شيئا وتاخذي دشا وتبادري بالنوم .

واستطرد وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

- اما انا فسوف اقوم بالعمل الذي يعطيني ابوك الاجر مقابله .

ولم تجد "جينا" القوة للدخول في نقاش معه ... لقد ارهقتها بالفعل كل هذه الاحداث وقال وهو ينهض :

- اتمنى لك شهية طيبة وليلة هادئة ... سنتقابل غدا في المطار في



الوقت الذي يلائمك .

- شكرا "يا جامي" ... شكرا على كل شيء .

ياله من رجل نبيل : إنه يعرف انها قد فقدت منه ومع ذلك فهولا يحمل تجاهها اي ضغينة ...

وقال قبل ان يغادر المكان :

- ستكون الطائرة جاهزة تماما غدا حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر .

- إنك ستعمل إذن طوال الليل ؟

- اعتقد ان هذا افضل بالنسبة لي .

- كم كانت تود ان تسري عنه ... ولكن ماذا في مقدورها ان تفعل ؟

- يمكنك العودة إلى القاعدة غدا مساءً ... اعتقد ان هذا هو ماتودين القيام به ... اليس كذلك ؟



www.elromancia.com

# الفصل التاسع

هل ترغب حقا في العودة إلى "أشلان" ؟ لم تكن "جينا" قادرة ، في تلك اللحظة ، على الرد على هذا السؤال ... فلتتقصي أولا ليلة هادئة تتمتع فيها بالنوم العميق ثم تقرر ما سوف تعمله بعد ذلك.

وبالفعل كان كل اثر للتعب قد زال عنها في الصباح ووجدت نفسها مبتهجة صافية الذهن.

راحت تتجول في أرجاء المدينة ... زارت السوق والقت نظرة شاردة على حقائب اليد الجلدية والاحزمة والسجاجيد التي كانت تعرض على الارصفة خارج المتاجر نفسها.

كان الباعة يرتدون الزي القومي التركي : قميص وسروال فضفاض وحزام عريض حول الوسط ، وكان باعة الخضراوات والفاكهة المتجولون يتجمعون خارج السوق يعرضون بضاعتهم وهم يتصايحون



وجلست "جينا" على "تراس" احد المقاهي حيث توجد جماعات من السياح . واقترب منها قط اسود صغير وراح يتمسح بساقيها ليلفت نظرها وعندما بدات تمسح بيدها فوق ظهره رات ان له عينا زرقاء والاخرى صفراء ... قالت تخاطبه :

- يالك من حيوان صغير غريب ... إنك في حاجة إلى الحنان مثلي تماما .

وعندما جاء النادل يحمل فنجان القهوة الذي طلبته ابتعد القط مذعورا .

شغلت "جينا" حتى الآن باكتشاف المدينة واسواقها ولم تفكر في "ديفيد" ولكن فجاة بدات كل افكارها تتجه إليه.

"ديفيد" ... ترى ماذا يفعل في هذه اللحظة ؟

هل يجب ان تعود إلى القاعدة ... ام لا ؟

إنها لاتستطيع حتى الآن ان تجيب عن هذا السؤال .. كان هناك شيء يؤرقها :

لماذا قال لها إنه متزوج ؟

تنهدت وشربت جرعة من قهوتها الساخنة وبدا عليها فجاة التفكير العميق : إن "ديفيد" لم يقل لها إنه متزوج ، لقد نطق فقط بهذه الكلمة : "زوجتي" عندما سالته من علمه طريقة "المساج" هذه... ومن هنا جاءت فكرتها انه ليس حراً ...

ومع ذلك فلقد لمحت له عندما حاول مغازلتها وتقبيلها ، الامر الذي رفضته هي .

بانه رجل متزوج وكان عليه ان يدرك عندئذ لماذا رفضت تودده إليها.. كيف يمكنها الآن ان تتدارك هذا الموقف ؟ هل سيقبل هذا الرجل، الذي يضع كرامته فوق كل شيء مجرد الاستماع إليها بعد رفضها هذا ؟ الم يقرر ، فيما بينه وبين نفسه ، انها لم تعد جزءا من



www.elromancia.com

حياته ؟ إن طريقة "طرده" إياها لاتدع مجالا للشك في هذا الشان .

ومع ذلك فإنها تحب هذا الرجل ... بمتناقضاته وكل عيوبه ... ولكن كيف يمكن ان تقول له ذلك ؟ ثم هل سيصدقها ؟ ماذا سيحدث إذا رجعت إلى هناك وعاملها بنفس المعاملة الجافة التي خصها بها في اخر يوم لها معه ؟ ستكون الحياة مستحيلة ولن تسمح لها كبرياؤها بالهرب مرة اخرى ... وسيصبح الجو بينهما متفجرا.

لقد لمح "ديفيد" إلى إمكانية عدم رؤيتها له مرة اخرى وعليها ان تتمسك بذلك ، فهناك اختلافات كثيرة بينهما وسوءفهم يصعب معه محو ذكريات اللحظات الأليمة التي عاشاها معا. ليس من شك ان هناك علاقة قوية تربط بينهما ولكن ما جدوى ان تمضي اسبوعا معه ؟

اسبوعا مليئا بالرغبات والتمزق إذا كان عليها ان تعود بعده إلى إنجلترا للاستمرار في مزاولة مهنتها ؟ ... وهو ... إلى اين سيذهب ؟

يجب ان يكون هذا هو قرارها إذن : على الرغم مما قاله لها "جامي" فسوف لاترى "ديفيد هالمان" ثانية ... ...

وتنهدت تنهيدة قوية ... كم هي قاسية هذه الحياة !

ومسحت المراة الشابة الدموع التي انحدرت من عينيها ودفعت الحساب وعادت إلى فندقها. سوف ترسل "تلكس" إلى والدها تخبره فيه بعودتها ... ستقول له إن "ديفيد هالمان" لم يعد في حاجة إليها .

ستكون في "لندن" مساء اليوم التالي بعد ان تذهب بالطائرة إلى "انقره" حيث يوجد فرع لشركة "برادي" ثم تستقل اول طائرة متجهة إلى إنجلترا ... وسيكون من السهل عليها هناك ان تنسى...

وصلت "جينا" إلى المطار حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ، وكما وعدها ، كان "جامي" قد اتم عملية الصيانة ... ابتدرها قائلا :

- اه ! هأنت قد حضرت ... لم يبق غير تموين الطائرة بالوقود

واستطرد وعلى شفتيه ابتسامة حزينة :



- لقد بكرت بالوصول ... وانا افهم ذلك ... تريدين ان تكوني في "اشلان" في اقرب وقت ممكن ...

- انا ... لن اعود إلى هناك .

واستطردت امام دهشته :

- نعم ... لقد قال لي "البروفيسير" "هالمان" إنه ليس في حاجة إليّ وإنه سوف يطلب طائرة عسكرية ... إنني ...

لم تستطع ان تكمل جملتها ... إنها لن ترى مرة اخرى الرجل الذي تحبه ... كان من الصعب عليها النطق بهذه الكلمات .

وقال "جامي" :

- ولكن يجب ان تعودي إلى "اشلان" .

- لماذا ؟ انا لا استطيع .

وانسابت الدموع على وجنتيها.

- هناك شيء تجهلينه يا "جينا" . لقد تناولت صباح اليوم طعام الإفطار مع احد الطيارين كان عائدا من منطقة "إيلازج" حيث حمل إلى هناك بعض علماء "الجيولوجيا" وقد حلق فوق القاعدة وعندما حدثته عن ابحاث "هالمان" وتوقعاته اصيب بالذعر : لقد سمع ان بعض القبائل الرحالة قد ذهبت إلى هناك ... شمال شرق "اشلان" ... لان افرادها يقومون برعي قطعانهم على سفوح جبال "موسجوني" .... وهكذا فإنهم سيكونون ضحايا لاي زلزال يقع في هذه المنطقة ... لقد صحبوا معهم زوجاتهم واولادهم و...

وتمتمت "جينا" قائلة :

- هذا فظيع ... إن حدوث زلزال يعني ...

- بالضبط ... يجب ان تذهبي إلى "اشلان" يا "جينا" وتخبري "هالمان" بالامر لكي يحذر هؤلاء الرحالة .

- ولكنه لن يستطيع ان يمنع وقوع الزلزال .

- بكل تاكيد ... ولكنه يتحدث اللغة التركية وهو يعرف لهجات هؤلاء القوم ... يمكنه ان يتحدث معهم ويحذرهم من الخطر الداهم الذي ينتظرهم ... ويقنعهم بضرورة مغادرة المنطقة ... ولهذا سيكون في حاجة إلى طائرتك يا "جينا".

واستطرد بعد لحظة صمت قصيرة:

- ليس امامك اي خيار اخر يا "جينا" .. يجب ان تذهبي إلى هناك وفي اسرع وقت ممكن ...

لقد كان "جامي" على حق.

واومات "جينا" براسها علامة الإيجاب.

وعاود "جامي" الحديث قائلا :

- هناك شيء اخر ... سوف اعود غدا إلى "لندن".

وزوت المراة الشابة ما بين حاجبيها

- لقد وافق ابوك على ذلك . لقد قلت له إن حالة "هيلين" تستدعي وجودي إلى جانبها. سارحل في صبيحة الغد . وإذا كنت في حاجة إلى اي شيء بخصوص الطائره فإن "كين ويبستر" سيتكفل بذلك . إنه يعمل في انقرة في شركة طيران مرتبطة بعقد مع ابيك ... يمكنك ان تلحقي به هناك..

الوداع يا "جينا".

وجدت "جينا" نفسها مدفوعة بقوة لا تقاوم، بين ذراعي "جامي" وقد انهمرت دموعها .

كان الشاب هو صديقها الوحيد وهاهوذا يتركها ... يبتعد عنها للابد ... وإذا حدث وتقابلا في احد الايام سيكونان كالغرباء ... إن جزءا من حياتها قد انتهى وفقدان صديقها سيجعلها وحيدة ...

وراح "جامي" بحنان بالغ يتحسس شعرها الذهبي باصابعه ويحاول تهدئتها ثم ابتعد عنها قائلا :



- هيا يا "جينا" ... قد لانتقابل بعد ذلك ... ارجو الا تنسي ان الحياة شيء ثمين وان السعادة شيء نادر .

ولوح لها بيده وهو يبتعد :

- الوداع ...

واتجهت "جينا" صوب برج المراقبة وعيناها مليئتان بالدموع.

عندما هبطت الطائرة على ارض القاعدة كانت الشمس قد اختفت وراء قمم الجبال . نزلت إلى الأرض وقلبها ينبض بشدة .

اقتربت بخطوات بطيئة صوب المبنى ... لم يكن هناك اضواء في الداخل ... ترى اين يوجد "ديفيد" ؟ وهل حدث له مكروه ؟ ... شعرت بجفاف في حلقها عندما راودتها هذه الفكره واقتربت من المنزل ... وفتحت الباب ...

- "ديفيد" ... "ديفيد".

لاجواب ...

وفجاة حركت يد ستار نافذة حجرة النوم . وانتشر الضوء في المكان واطلقت المراة الشابة صرخة قصيرة .

- إنه "ديفيد هالمان" ... ولكنها لم تكد تعرفه ...

دخل وهو يترنح في المطبخ .. كان مشعث الشعر ، طويل اللحية وكان يبدو عليه الإرهاق والإعياء وتحوط الهالات السوداء بعينيه .

واستبد بـ"جينا" الاضطراب وسالت :

- ماذا حدث لك ؟

وخطرت بذهنها الاف الافكار ... هل وقع فريسة للمرض ... هل...

- أوه ! لاشيء خطير ... إنني لم انم منذ رحيلك اكثر من ثلاث ساعات ... ولكن اطمئني إن ما يحدث لي ليس بسببك .

وقالت "جينا":

- ولكن ماذا حدث ؟



www.elromancia.com

وتنهد "ديفيد" قبل ان يجيب :

- هل تظنين انني اتعمد المكث في الظلام . لقد تعطل المولد الكهربائي بعد رحيلك ولم انجح في إصلاحه واضطررت لاستخدام لمبات الجاز للإنارة ...

واشعل بالفعل إحدى هذه اللمبات وبدا في ضوئها الباهت اكثر إعياء مما ظننت .. كانت هي نفسها تشعر بالضعف والخمول : لم تكن تتوقع ان يكون لقاؤها به على هذه الصورة.

وسالت :

- ولكن ماذا تفعل بشان التدفئة ... وكيف تجهز طعامك ؟

- إنني اقدر الجهود التي تبذلينها لإقناعي بانك تهتمين بامري... اطمئني هناك بعض اسطوانات البوتاجاز للطهو والتدفئة .

- اه ! ساجهز لك بعض الكاكاو الساخن .

ولم تنتظر جوابه واسرعت إلى الصوان وقد سرها ان تشغل نفسها بعمل ما . قالت بعد ان شرب الشراب الساخن :

- "ديفيد" ؟

قال دون ان ينظر إليها :

- ماذا ؟

- انا آسفة ... فلو كنت الرجل الذي كنت تتوقع ان تعمل معه لتم إصلاح المولد الكهربائي سريعا ... او على الاقل كنت ساعاونك على إصلاحه .

راح يمسح وجهه بيده ... ربما في محاولة منه لإخفاء ارهاقه .

- لا عليك ...

وهز راسه في غضب وحدق فيها قائلا :

- ولكن ... لماذا عدت ؟

- لقد قال لي "جامي" ...



- اه ! "جامي" العزيز ... لقد كنت مشتاقة لرؤيته .. كيف حال هذا الصديق الوفي ؟ لقد لهوتما معا ... اليس كذلك ؟

وصاحت قائلة:

- صه ... لقد كان "جامي" صديقي الوحيد ... لقد انحدرت انت من اسرة كثيرة العدد ولهذا فلايمكنك ان تفهم كم كان مهما بالنسبة لي : لقد كان الشخص الوحيد الذي يهتم بي .. الاخ الاكبر الذي لم ارزق به ، قد اكون سانجة وغبية ولكنني لم افكر لحظة واحدة ... انه يمكن ان ...

وخنقتها العبرات ومنعتها من الاستمرار في الكلام ... واستطردت بعد ان هدات بعض الشيء :

- سوف يرحل غدا ، لقد طلب نقله إلى لندن ... واعتقد انه لن يعمل معي بعد الآن. وسوف نكون غرباء.. كل منا بالنسبة للآخر ، إذا قدر لنا ان نلتقي مرة اخرى ... لم اكن اعلم انه يحبني ... اما الآن فنعم ... وكان ذلك بسببك انت ... لقد تلاشى اغلى شيء كنت املكه في هذه الحياة ... يمكنك ان تفخر بنفسك ... ...

وازداد شحوب وجهه.

- الغيرة شعور جديد عليّ.. وانا لست فخوراً بنفسي على الإطلاق.

- الغيرة ؟ انت ؟ من "جامي" ؟

- ماذا قال لك ليجعلك تعودين إلى هنا ؟ ... لانني اعتقد انه هو الذي حثك على العودة.

واخبرته "جينا" بسرعة عن قصة القبائل الرحالة.

- هل افهم من ذلك انك جئت لتحمليني بطائرتك إلى هؤلاء القوم ؟

- نعم ... ولكن الظلام دامس الآن ، يمكننا ان نذهب غدا مع شروق الشمس .

- لماذا لم تكتفي بالاتصال بي عن طريق الراديو ؟

- لم يخطر ذلك ببالي وعلى كل حال فانت في حاجة إلى طائرة

"هيلوكوبتر" للذهاب إلى هؤلاء الناس المنتشرين بين شعاب الجبال... ولا اعتقد ان الجيش ... ...

- لقد اخطات التقدير ، فانا من جانبي لست في حاجة إليك وإلى طائرتك. لاتنسي ان هذه القاعدة شيدت منذ عدة سنوات وانه يوجد غيرها في شرق تركيا ، ولما كانت الاتصالات عسيرة، فقد وضعنا نظاما خاصا من الإشارات.

ليس فقط بين كل قاعدة واخرى بل ايضا بين هذه القواعد والقبائل الرحالة ...

نحن نعرف الامكنة التي يرعون فيها اغنامهم ... إنها امكنة تقليدية وفي مقدورنا ان نتصل بهم ... ونحذرهم .

- كيف ؟

- بواسطة إشارات مضيئة ، هناك طائرة عسكرية تحلق كل يوم فوق هذه المنطقة وتحاط كل قاعدة علما ، بطريق الراديو إذا حضرت إحدى القبائل للرعي في المنطقة الخطرة وسوف تصلني رسالة بالتاكيد صباح الغد.

لم يكن إذن من الضروري ان تحضر إلى "اشلان" ... وكان "جامي" يعلم ذلك ...

لقد دبر هذه الخطة متعمداً ليجعلها تعود إلى جانب "ديفيد".

وقبلت هي ، دون ان تعلم هدية وداعه الغالية هذه ....

وتمتمت قائلة:

- لم اكن اعلم شيئا عن هذه الإشارات . وقد اخبرني "جامي" ان هناك نساء واطفالاً ...

وقاطعها "ديفيد" بإشارة من يده طالبا منهاان تناوله إناء السكر وامسكت به "چينا" بيد مرتعشة ولكنه افلت من بين اصابعها وسقط مهشما على الأرض.



- وهمست :

- كم انا غبية.

وانخرطت في البكاء.

- لا ... طالما انك تهتمين بهؤلاء الناس ...

- لاتحاول تقديم العزاء لي ... سوف ارحل صباح غد و ...

- لا ... لقد جئت وسوف تمكثين هنا.

- وما جدوى ذلك ؟

- انا في حاجة إليك .

- ولكنك قلت لتوك :

- اعرف تماما ماذا قلت .

وبدا الامل يولد من جديد في قلب المراة الشابة ... قد يخيب املها مرة اخرى ولكن لاباس .

قالت وهي تنظر إلى بقايا الإناء المهشم على الأرض :

- كم انا متوترة الاعصاب.

وشعرت بجفاف شديد في حلقها وظلا صامتين للفترة طويلة وكانت عينا "ديفيد" تحدقان إليها :

- لقد كنت اعتقد انك رجل متزوج.. واعرف الآن انك لست كذلك.

- هل "جامي" هو الذي اخبرك بذلك.

واومات له براسها وعيناها مليئتان بالخوف..

من يدري فلعل "جامي" كان مخطئاً. هل كان واثقا بما قال؟

وسالت:

- هل هذا صحيح ؟

- إن زوجتي قد ماتت ؟ ... نعم منذ ثلاث سنوات.

لم تعرف "چينا" ماذا تقول : إن قلبها مفعم بالبهجة على الرغم من ماساوية الموقف ... إن "ديفيد" حر ...



www.elromancia.com

وقال "ديفيد" وهو ينظر إلى بعيد :

- لقد ماتت منذ ثلاث سنوات وتكفل الزمن بالتئام الجراح . سوف احدثك يوما عن زواجي ... لقد كنت تظنين انني رجل متزوج ولذلك رفضت ان ...

- نعم .

- هل هذا هو السبب الوحيد ؟

- اوه ! "ديفيد" ... نعم ... نعم

وارتمت بين احضانه .

- "چينا" ...

راح يقبلها في كل جزء من اجزاء وجهها وهو يتمتم بكلمات الحب الرقيقة .



# الفصل العاشر

سالت "چينا" بعد ان فرغا من تناول الطعام :

- كيف وجدت هذه الوجبة ؟

- لن اتمادى في القول واجزم ان الطعام كان شهيا لذيذا ... ماذا وضعت بالضبط في هذه الصلصة ؟

- البصل والطماطم .

- هل انت واثقة بانك لم تضيفي إليها شيئا آخر ؟

- ملعقة من الاعشاب الجافة .

- آه ؟

- لم تكن كلمات البطاقة واضحة على "البرطمان" وقلت لنفسي إن هذا العشب لابد ان يضفي على الصلصة نكهة خاصة ... اعلم الآن ان النتيجة كانت بمثابة كارثة...

وقال "ديفيد" بصوت رقيق :

- انت تبالغين ... لايمكن ان يكون المرء بارعا في كل شيء ... هل



www.elromancia.com

تعرفين الكثير من النساء اللاتي يعرفن قيادة طائرة "هيلوكوبتر" ؟

- ولكني مع ذلك دون المستوى في الحياة اليومية ... لاشعر انني امراة طبيعية ...

- وما تكون المراة الطبيعية في رايك ؟

تراقص بريق ماكر في عينيه واجابت هي دون ان يغضبها هذا :

- فلنقل إنها المراة التي لاتحرق الخبز ولاتكسر كوبا كل يوم... والتي تعرف الحياكة وترتيب المنزل .

- ولكن كل الناس يمكنهم أن يتعلموا ذلك يا"چينا"... وانت ايضا إذا أردت. اما الذكاء والشجاعة فإنهما فضيلتان غير مكتسبتين ... وكذلك القدرة على حب شخص ما.... وهذا اهم بكثير.

وصمتت "چينا" لحظة واحمرت وجنتاها : لقد اثلج صدرها هذا الإطراء وحدقت فيه وهي تقول :

- لقد قلت لي منذ لحظات إنك سوف تحدثني عن زواجك ....

- آه ! نعم ... إنه زواج تكفلت به الاسرة عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمرى : لقد رتبوا لقاءً لي مع إحدى الفتيات في منزل بعض الاصدقاء ... وتم الزواج لانها اعجبتني .

وصمت برهة ثم استطرد قائلا :

- هناك اشخاص يملكون رصيدا من الحب يقدمونه لرفيق حياتهم وآخرون ينقصهم ذلك تماما ... ومن سوء حظي كانت "حبيبة" تنتمي إلى الطائفة الثانية ... لقد تم الزواج وبسرعة وادركت ذلك بعد فوات الأوان : كان الزواج بالنسبة لها هوالحياة العملية اليومية . وكان تعليمها مثاليا من وجهة النظر هذه فقد كانت ربة بيت لاتجارى .

وصمت "ديفيد" برهة : كان يبدو انه يجد صعوبة في استعادة ذكرياته. وانتظرت "چينا" بدون قلق بقية روايته ... لقد عرفت الآن ان الزوجة المتوفاة لاتمثل خطراً بالنسبة لها ... إنها متاكدة من حب



"ديفيد" لدرجة انها لم تشعر باي غيرة .

- لقد بدات المشكلة بمقدم الأطفال ... انت تعلمين طبعا انهم التبرير الحاسم لكل زواج .

لم اكن ارغب في الإنجاب في الحال ، كنت اود ان يتاح لنا الوقت الكافي الذي تتعمق فيه معرفتنا الواحد تجاه الآخر، ولكنها لم تفهم موقفي هذا. ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت حاملاً.. كانت تفيض بالبهجة اثناء فترة الحمل فقد وجدت مبرر وجودها .. ولكن حدثت المأساة في الشهر الرابع من الحمل .. مات الجنين في احشائها ... وتكرر ذلك خلال سنوات زواجنا الست ... لقد خلقت هذه المراة لكي تكون اماً اكثر من كونها زوجة ... اعتبرت ما يحدث لها بمثابة فشل واصبحت عدوانية جدا تجاهي ... وتدهورت صحتها من جراء عمليات الحمل المتكرر ... خمس مرات خلال فترة زواجنا .

وجدت "چينا" صعوبة في فهم الموقف : كيف يمكن لامراة حباها الحظ بالزواج من رجل مثل "ديفيد" الا ترى في هذا الزواج غير وسيلة لإنجاب الأطفال؟

وهمست قائلة:

- استمر من فضلك .

- عندما حملت للمرة الخامسة اوصى الطبيب بإجراء عملية جراحية بسيطة لتفادي الإجهاض ... وماتت "حبيبة" وهي في المستشفى : اصيبت بحساسية من جراء التخدير وهو امر نادر الوقوع .

وصمت "ديفيد" وهب واقفا واتجه صوب النافذة وراح ينظر إلى الليل في الخارج واقتربت "چينا" منه ووضعت يدها على كتفه.

- "ديفيد" لقد فقد كل منا جزءا من حياته ... لقد كانت طفولتي قاسية حزينة وارتبطت انت بزواج تعيس .. ولكن الماضي هو



www.elromancia.com

الماضي... والمهم هو مايجب ان نفعله الآن

واستدار لمواجهتها.

- وماذا تقترحين ان نفعل الآن ؟

قال ذلك وقد عادت الابتسامة تتراقص على شفتيه :

وتمتمت قائلة:

- لا أرى غير حل واحد ... غسيل الأطباق !

- حقا ؟

وتضرج وجهها بحمرة الخجل .

واستطرد هو قائلا :

- "چينا" ... اريد ان اقول لك ... إنني الوم نفسي على سلوكي معك بالأمس. كنت اشعر بالغيرة من "جامي" لانك استطعت في ظرف ايام قليلة تغيير حياتي ... انا احبك يا"چينا" .

وهمست قائلة:

- اوه ! "ديفيد" ... انا احبك ايضا.

وتقابلت شفاههما .. كان الحب يناديهما.. فقد كان ثالثهما .

***

- "چينا" ؟

- نعم .

- لاشيء ... اعني هل تجيبينني إذا سالتك سؤالا قد يبدو غريبا للوهلة الأولى وهمست وقد بدا قلبها ينبض بشدة:

- نعم ... اعدك بذلك .

- هل فكرت في ترك مهنتك ؟

وقالت بحدة :

- لا .

- هل فكرت في مواقف يمكنك من اجلها ترك هذه المهنة ؟



وترددت لحظة .

وقالت اخيرا :

- موقف واحد فقط .

- اي موقف ؟

- إذا ... إذا رزقت باولاد.

- وهل في نيتك ان تنجبي ؟

- السؤال غير مطروح طالما انني غير متزوجة .

- ولكنك تريدين اطفالا ... اليس كذلك ؟

- لا اعلم ... لم افكر في ذلك قط .

وقال في إلحاح :

- ارجوك ... اجيبي.

- نعم ... إذا تزوجت من رجل احبه .

شاعت البهجة في وجهه وبدا وكانه قد رجع عدة سنوات إلى الوراء- "چينا" ... هل تقبلين الزواج بي ؟

وراح يمطرها بقبلاته وهو يسمعها تهمس في اذنه:

- نعم ... نعم ... الف مرة نعم .. إن اليوم هو اسعد يوم في حياتي.

- اسعد من اول يوم حلقت فيه بطائرتك في السماء ؟

- نعم ... لان نظرة واحدة منك تجعلني احلق في السماء ... انا احبك يا"ديفيد" .



www.elromancia.com

# الغلاف الأخير

الزلازل تهز أرض "كابادوس" ..

ولكن ذلك لايهم "چينا" في شيء ... إنها ابنة السماء وهي تقود طائرتها ويجب عليها أن تنهي مهمتها ... ويجب على "البروفيسير" "هالمان" راكبها الوحيد ألا يخشى شيئا مع طيارة مثلها ... فلا العواصف ولا الزلازل يمكن أن توقف "چينا" ... فوراء هذا الجسد الهش والشعر المتوهج كالسنة النيران تختبئ إرادة من فولاذ ... ولكن حذار يا "چينا" فإن الخطر في هذه المرة لا ينتظرك ... في السماء .